المقتطف

الجزء الثامن من المجلد التاسع والعشرين

ا اغسطس (آب) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٨ جماد الاول سنة ١٣٢٢

المعرض الاميركي ومبانيهِ

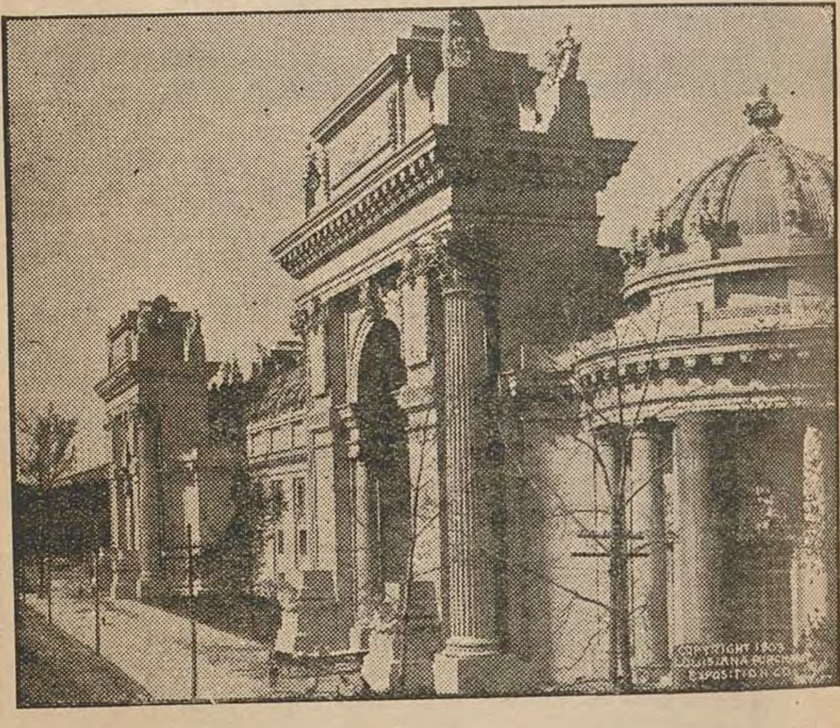

زاوية قصر الفنون

لابدع اذا افاضت المجلات العلمية والجرائد السياسية بعد الآن في وصف هذا المعرض وذكر غرائبهِ فانهُ اعظم معرض انشيء حتى الآن ولا بدَّ من ان تكون فوائدهُ كثيرة وغرائبهُ مدهشة . ولقد انشيء تذكارًا لامر لهُ شأن كبير في تاريخ الولايات المتحدة الاميركية ألا وهو ابتياع بلاد مساحتها اكثر من مليون من الاميال المربعة

ولا شبهة في ان الذين ابتاعوا تلك البلاد واضافوها الى الولايات المتحدة نظروا بعين الروية الى لزومها لها في المستقبل ولو لم يخطر ببالهم ان بلادهم سترتقي هذا الارتقاء المدهش فقد كان عدد اهاليها سنة ١٨٠٣ اي حين اضيفت اليها تلك البلاد خمسة ملايين ونصف مليون

قصر المعادن والتعدين

من النفوس فزاد عددهم حتى بلغ سنة ١٨٨٠ اكثر من خمسين مليونًا وهو الآن نحو ثمانين مليونًا وكان لانضمامها الى الولايات المتحدة شأن كبير في ازدياد السكان بالمهاجرة لان اكثر المهاجرين كانوا يذهبون اليها وكان مركزهم ينتقل غربًا بزيادة عددهم كأن اكثر الزيادة في الجهات الغربية التي يحتفل الاميركيون الآن بانضمامها الى بلادهم

قصر الآلات

ويقول الذين شاهدوا هذا المعرض ووصفوه انهُ جدير بان يكون تذكارًا لامر لهُ هذا

الشأن في تاريخ الولايات المتحدة وارتقائها فان اتساعهُ ونخامة مبانيهِ وحسن انتساقها وزخرفها والقناطير المقنطرة التي انفقت عليها بسخاء الحكومة الاميركية وسخاء ولاياتها وانواع المعروضات ومقاديرها وحسن تبويبها واشتراك ممالك الارض فيها كل ذلك يجعلهُ غاية ماوصلت اليهِ ارقى الامم واقدرها وما انتجهُ عقل الانسان حتى العام الرابع من القرن العشرين

برج من ابراج قصر الآلات

وقد ذكرنا في عدد سابق ما انفقتهُ الولايات المتحدة على هذا المعرض وهو نحو خمسين مليونًا من الريالات ويضاف الى ذلك ما انفقتهُ ممالك الارض المختلفة فان فرنسا مثلاً انفقت

مليون ريال ومثلها المانيا وانفقت برازيل ستمئة الف ريال وكلٌّ من بريطانيا والمكسيك والصين واليابان اكثر من خمس مئة الف ريال. ومباني المعرض غاية في الاتساع والفخامة فقصر الفنون طوله ٧٥٠ قدماً وعرضهُ ٥٢٥ قدماً ومثلهُ قصر المعادن والتعدين وقصر الحكومة بقبتهِ العالية طولهُ ٨٠٠ قدم وعرضهُ ٢٦٠ قدماً . وقصر الآلات طولهُ ١٢٠٠ قدم وعرضهُ ٥٢٥ قدماً وكذلك قصر الصنائع المختلفة · وقصر الصادرات طولهُ ١٣٠٠ قدم وعرضهُ ٥٥٩ قدماً وقصر الزراعة والآلات الزراعية طولهُ ١٦٠٠ قدم وعرضهُ ٥٠٠ قدم

والمعرض في ارض فسيحة مساحتها ١٢٠٠ فدان مملوءَة بالغابات وفيها الآن نحو الف بناء الكبرى منها اثنا عشر بناءً وهي تشغل ارضاً مساحتها ١٢٨ فداناً وقد نشرنا صور بعضها في هذه المقالة اظهاراً لما في ظاهرها من حسن الانتساق واحكام الصنعة وجمالها وسننشر غيرها في الاجزاء التالية وقد أرسلها الينا حضرة مكاتب المقطم الخصوصي في المعرض

مصير الانسان

يظن الجمهور ان معرفة مصير الانسان غير مقدورة لبني آدم الاَّ اذا كان هذا المصير مرتبطاً بامور ماضية او حاضرة ارتباط المعلول بالعلة وكانت هذه الامور معلومةً · لكن اذا تعذَّر علينا ان نعرف ما يصير اليهِ كل انسان على حدتهِ فقد لا يتعذَّر علينا ان نعرف ما يصير اليهِ النوع كلهُ بالاجمال · مثال ذلك اذا اتيتَ بعربة مملوءَة رملاً لتفرغها في دارك فانك لا تستطيع ان تضع يدك على حبة من حبوب ذلك الرمل وتعين مصيرها وتقول الى اين تصل بعد وقوع الرمل من العربة . ولكن لا يصعب عليك ان تعلم كيف يكون شكل الرمل كلهِ بنوع عام بعد وقوعهِ فانهُ لا يقع منبسطاً في سطح مستو ولا مائلاً في شكل هرم ولا قائماً في شكل موشور او اسطوانة بل يكون اكمة هذلولية . تعلم ذلك ولا يتعذَّر عليك اثباتهُ بالدليل الهندسي . وهكذا مصير نوع الانسان فان معرفتهُ بوجه عام لا تتعذَّر على الناقد البصير

طالعنا بالامس مقالة في هذا الموضوع للمستر وِلْس احد مشاهير الكتَّاب قال فيها ان الناس من حيث النظر الى مصيرهم فريقان الفريق الاول وهو الاكبر لا يهتمُّ بهذا المصير مطلقاً لانهُ يقول ان المستقبل محجوب بحجب الغيب فلا سبيل للوصول اليهِ وكأَنهُ ينطق بلسان الشاعر العربي القائل

واعلمُ علم اليوم والامسِ قبلهُ ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي

والفريق الثاني اقل عدداً من الاول وهو في الغالب من الشبان اهل العصر الجديد يهتمُّ بمستقبل الانسان اكثر مما يهتم بماضيهِ ويبحث عن مصيرهِ كما يبحث عما كان فيهِ . فالفريق الاول ينظر الى الحاضر من حيث علاقتهُ بالماضي والفريق الثاني ينظر اليهِ من حيث علاقتهُ بالمستقبل . الاول من اهل الذكر الذين لا تنجلي لهم الامور الاَّ اذا قارنوها بما تقدَّمها وعرفوا ارتباطها بما يتذكرونهُ . والفريق الثاني من اهل النظر الذين يحسبون الحاضر اساساً للمستقبل فلا يكتفون بهِ بل يبحثون دواماً عما سيبنى عليهِ . الاول ينظر الى الحياة الحاضرة من حيث هي ثمرة الحياة الماضية والثاني ينظر اليها من حيث هي شجرة تثمر اثماراً مقبلة . وكأَن عقل الفريق الاول عقل قاضٍ يطبّق احكامهُ على الشرائع التي تعلَّمها والقوانين التي اطَّلع عليها ولا يقبل حكماً ما لم يكن منطبقاً على قانون مقرر . واما عقل الفريق الثاني فكعقل المشترع الذي يسنُّ القوانين وينقحها بالتغيير والزيادة والنقصان حاسباً ان سلطتهُ فوق سلطة القانون لان تغييرهُ في يدهِ

ومن رأْي المستر ولس ان العقل الاول عقل اهالي المشرق بنوع عام والعقل الثاني عقل اهالي المغرب ونخاف ان يكون رأْيهُ صحيحاً فانك اذا محَّصت اكثر ما يكتبهُ ابناءُ الاقطار الشرقية تجدهُ مفاخرةً بالآباء والاجداد بمجد العرب والمصريين والفينيقيين . كأَنهم نسوا قول مَن قال

وما الفخر بالعظمِ الرميمِ وانَّما نخار الذي يبغي الفخار بنفسهِ

والفرق واضح بين العقل القضائي والعقل التشريعي يقول الاول اننا على ما نحن عليهِ لامور اقتضت ذلك رأَينا آباءَنا فيهِ وبهديهم نحن مهتدون . ويقول الثاني اننا على ما نحن عليهِ استعداداً لامور ستحدث وتمهيداً لما سيصل ابناؤُنا اليهِ

الاَّ ان جمهور الناس لا ينقطع للتفكير بالماضي وحدهُ او بالمستقبل وحدهُ بل يفكر كثيراً بالماضي وقليلاً بالمستقبل او كثيراً بالمستقبل وقليلاً بالماضي حسب استعدادهِ . واضطراب الناس في احكامهم حادث في الغالب عن مزجهم امور الماضي بامور المستقبل او عدم تمييزهم بين الاولى والثانية فترى الذين ينظرون الى الماضي يبحثون عن الاسباب والذين ينظرون الى المستقبل يبحثون عن النتائج والذين ينظرون الى الماضي والمستقبل معاً تتشوش عليهم الامور فيخلطون بين الاسباب والنتائج

كان الناس يقيسون الامور الادبية ببعض الاحكام والقواعد المقرَّرة فيقولون مثلاً ان السرقة حرام لانهُ قيل في الوصايا العشر "لا تسرق" غير ناظرين الى عواقب السرقة في امور

الناس ولا يزال كثيرون يحسبون انهُ لابدَّ من الجري على هذه الاحكام كيفما كانت الحال لانها احكام ادبية مقرَّرة . لكن قام البعض وانكروا انها احكام ادبية واجبة الاتباع دائماً وحكموا بانهُ لابدَّ من النظر الى النتائج ولان النتيجة تبرر الواسطة او تخطئها والجمهور مضطرب بين القولين يتبع هذا مرة وذاك أُخرى ولكن اعتبار النتائج آخذ في الشيوع فقد قام فريق من الناس يمدُّ قيمة الاعمال الادبية على حسب النتائج التي تنتج عنها ويقول ان القوانين الادبية وسائط لغايات فلا شأن لها لذاتها وانما شأنها في ما تؤَدّي اليهِ من الغايات فاذا حسنت نتيجتها فهي واجبة الاتباع والاَّ فلا . والجمهور بين بين يتمسك بالقوانين الادبية نظراً مدعياً انها احكام مقرَّرة لا تتغير ويجري على ضدها عملاً اذا اقتضت مصلحتهُ او مصلحة بلاده ذلك . مثالهُ ان تَعِدَ امة من الامم انها تفعل فعلاً ما وتؤَكد وعدها بالقسَم او بغيرهِ من وسائط التأْكيد ثم تجد ان الوفاء بهذا الوعد يضرُّ بها او بغيرها من الامم او الجمهور من الناس وان الحنث ينفعها او ينفع غيرها ولا يضرُّ احداً او ان نفعهُ اكثر من ضررهِ فتخلف وعدها وتحنث بيمينها حاسبة ان النتيجة هي الغرض المقصود من الوعد والعهد ومصلحة النوع تقتضي جلب النفع الاكبر بالضرر الاقل . هذا اذا كان وجه النفع من إخلاف الوعد ظاهراً ولكنهُ اذا لم يكن ظاهراً اختلف الناس في السبيل الذي يتبعونهُ فصاحب العقل القضائي يقضي باتباع السنَّة القديمة ويقول بعدم اخلاف الوعد مهما كانت النتيجة واما صاحب العقل التشريعي فلا يصعب عليهِ كسر السنَّة القديمة وسن سنَّة أُخرى بدلاً منها فيقول ان الامور بمقاصدها والغاية تبرر الواسطة . والمتقلب الذي لا رأي لهُ يتبع الخطة الاولى تارة والثانية اخرى حسب العوامل التي تؤَثر فيهِ

وقد يبلغ الاضطراب في الاحكام غاية في الغرابة مثال ذلك ما حدث في هذه الحرب الاخيرة وفي اكثر الحروب الحديثة فانهُ اذا خالف احد الخصمين عادة متبعة اسخط الناس اجمع فاتهموهُ بالغدر والخيانة وانتهاك المحارم ولو كان ما فعلهُ قاصراً على قتل سفير او تمزيق راية ولكن اذا نشبت نار الحرب واثخن احد الخصمين في الآخر فقتل منهُ في واقعة واحدة عشرة آلاف نفس اعظموا فعلهُ ومجَّدوهُ وضفروا لهُ اكاليل الظفر غير ملتفتين الى ماينتج من قتل عشرة آلاف نفس من المضار لعشرة آلاف بيت. ولكن يقال بنوع عام ان الناس صاروا يقيسون الحروب والخصومات بما تأُول اليهِ في مصالح الامم لا بعلاقتها بمصالح الافراد ولا بارتباطها بالقوانين والمعاهدات الماضية كأَن مستقبل الامم بنوع عام هو الغرض المقصود بالذات

ونظر المستر ولس في السبب الذي يحمل اكثر الناس على الالتفات الى الماضي وعدم

الالتفات الى المستقبل فقال انهُ حب السهولة والراحة فان الالتفات الى الماضي سهل لا يدعو الى نظر كثير وتفكير طويل واما النظر الى المستقبل فعسير لا يسهل تناولهُ على كل واحد والقوى العقلية تجري في الطريق الذي تجد فيهِ المقاومة القليلة كالقوى الطبيعيَّة . والماضي معروف محقق واما المستقبل فمجهول يصعب تحققهُ فاذا وقف الانسان بين سبيلين احدهما سهل نتيجتهُ معلومة والآخر صعب نتيجتهُ غير معلومة اختار الاول على الثاني لكن ذلك لا يصرفهُ عن الرغبة في معرفة المستقبل ولو بواسطة المنجمين والمتكهنين وقارئي أسرَّة الجبهة واسرار الكف

اذا دققت النظر وجدت ان الناس يعلمون من امور الماضي اقل مما يدعون ومن امور المستقبل اكثر مما يظنون . فالمحفوظ في الذاكرة من امور الماضي لا يعتمد عليهِ دائماً لان الذاكرة لا تعي كل شيء ولا تحسن حفظ ما تعيهِ بل تشوشهُ وتضيف اليهِ اموراً ليست منهُ . ومهما اشتدَّت ثقة المرء بذاكرتهِ فانهُ اذا قاسها بما يحفظهُ في القرطاس وجد البون شاسعاً بين ما يحفظ فيها وما يحفظ فيهِ . ولقد امتحنا فعل الذاكرة مراراً فكنا نتلو خبراً على جماعة ثم نطلب منهم ان يكتبوا ما وعوهُ منهُ في ذاكرتهم فلا نجد اثنين يتفقان

ثم ان جانباً صغيراً من معارف الانسان مبني على مدركاتهِ الذاتية والجانب الاكبر على ما قرأهُ او سمعهُ اي على مدركات غيرهِ ولكن ما آفة الاخبار إلاَّ رواتها فقد يتلاعب الرواة في الاخبار لغرض واذا قصدوا الصدق في الرواية فان الذاكرة تخونهم كما تقدم ولا تحفظ الاَّ ما تشاء وكما تشاء ولذلك يقع التضارب في الاخبار الى حد تضيع معهُ الحقائق حتى اذا بعُد السند وكثر التواتر كثر الاختلاف وانقلبت الاخبار عن صورتها الاصلية الى صور اخرى مضادَّة لها وصار الانباء بامور المستقبل اصح من الانباء بامور الماضي ما دام الماضي معتمداً على الاحاديث والاسانيد . ولكن اذا كان للماضي شواهد عيانية ثابتة ومُحصت شواهدهُ تمحيصاً علمياً فدلالتها يقينية مثل الاستدلال على سكان الارض في العصور الجيولوجية ومثل الاستدلال على احوال البابليين والاشوريين والمصريين من آثارهم المنقوشة في الصخور . واننا لنعلم الآن من تاريخ الارض قبل ظهور الانسان عليها اكثر مما نعلم من تاريخها منذ ظهورهِ الى الآن ونعلم من احوال الامم الغابرة قبل زمن التاريخ اكثر مما نعلم من احوال الامم الذين قاموا في زمن التاريخ بل اكثر مما نعلم من تاريخ آبائنا واجدادنا الى الف عام . وهذا العلم لم يحدث بالالهام والمكاشفة بل بالبحث العلمي الدقيق . بالبحث في الصخور والتلال والركام والانقاض . بالبحث والتنقيب والقياس والتقدير والانتقاد والتمحيص من غير معارف سابقة ولا قواعد مقررة بل في وجه عقائد مناقضة واحكام تقيّد العقل وتمنع البحث

فان كان البحث عن الماضي البعيد الذي حجبتهُ عنا ظلمة العصور الغابرة تكلل بالنجاح فكيف لا ينجح البحث عن الامور الآتية اذا جرى على الاساليب العلمية · وقد فعل الانسان شيئاً من ذلك فانبأ هكسلي مثلاً بان توجد آثار الفرَس ويكون في قوائمهِ اصابع كما في قوائم غيرهِ من الحيوانات الفقرية فصدقت نبوءتهُ ووجدت في طبقات الارض آثار خيل في قوائمها اصبعان او ثلاث او اربع او خمس. وانبأ مكسول بأن النور والحرارة والكهربائية شيءٌ واحد يتحول كلٌّ منها الى الآخر فصح ما انبأ بهِ · وانبأ بعض الكيماويين بوجود عناصر غير معروفة وعينوا ثقلها النوعي والجوهري وبعض خواصها الكيماوية فكشفت تلك العناصر ووجدت كما انبأوا عنها . هذا والعلماء غير مهتمين بالبحث عن المستقبل ولا حاسبين انهُ يمكن الوصول الى معرفتهِ فكيف لو اهتم كبارهم بذلك وانضوا اليهِ عزيمتهم

نعود الآن الى النظر في مصير الانسان على هذه البسيطة فمن الامور المقررة علماً ان حرارة الشمس ستنفد يوماً ما فتبرد الارض ولا تعود صالحةً لمعيشة الانسان فينقرض نوعهُ منها ولكن ذلك لا يحدث قبل الوف بل ملايين كثيرة من السنين والانسان ابن الامس لا يطمع بالانباء عمَّا يصير اليهِ بعد هذا العدد العديد من السنين لاسيما وان سيرهُ غير جارٍ على نسق واحد بل هو يتقدَّم الآن في سنة اكثر مما كان يتقدَّم قبلاً في مئة سنة

ومن الامور المقررة ايضاً ان عوالم كثيرة مثل عالمنا واروضاً مثل ارضنا تصطدم وتحترق من وقت الى آخر فيحتمل ان يصيب ارضنا ما اصابها وهذا الاحتمال بعيد ولكن لا شيءَ ينفي حدوثهُ وليس في طاقة الانسان الانباء بزمنهِ فلا يتعب بالبحث عنهُ

ومنها ان انواعاً مختلفة من الحيوان عاشت على وجه الارض في العصور الغابرة وملأَتها ثم انقرضت منها اما بتغير الفصول او باسباب اخرى غير معروفة فلا شيءَ يمنع ان يحلَّ بنوع الانسان ما حلَّ بهِ او ينتابهُ مرض وبائي يقرضهُ قرضاً ولكن النظر في احوال المخلوقات من اول حيوان ظهر منها وخرج من حمأتها يتمعج ويتلوَّى ويجاهد في طلب المعيشة والنمو والارتقاء الى الانسان ابن القرن العشرين الذي فاق كل من تقدمهُ بمراحل كثيرة يحدو بنا الى الظن بل الى الترجيح او التأكيد ان سلسلة هذا الارتقاء لا تنقطع وانهُ سائر سيراً مستمرًّا على سلسلة متزايدة والاَّ فلا معنى لهذا الوجود. واذا كان الامر كذلك فمصير الانسان الى حالة ارقى من حالتهِ الحاضرة ودلائل الحال تؤيد ذلك · وسيهتدي الناس الى ما يزيد راحتهم ورفاهتهم ويمنع الشرور والمفاسد والآلام . هذه هي الحالة العامَّة التي يصير اليها نوع الانسان

حملة هكس باشا

من كتاب تاريخ السودان

هكس باشا من ضباط الانكليز النابغين وقد انتظم في الجيش الهندي سنة ١٨٤٩ وشهد عدة وقائع حربية في الهند والحبشة وتقاعد برتبة كولونل . وفي سنة ١٨٨٢ قدم الى مصر فسمي رئيس اركان حرب الجيش المصري ولما الغي جيش عرابي وصدر الامر بارساله مدداً الى السودان سمي رئيس اركان حرب الجيش في السودان فبرح مصر في ٧ فبراير وسار بطريق سواكن فوصل الخرطوم في ٧ مارس سنة ١٨٨٣

وتبعهُ جيش عرابي في هذه الطريق عينها وكان مؤلفاً من اربعة آلايات في كل آلاي ثلاث اورط ومجموعهُ نحو عشرة آلاف رجل عليهم اربعة ضباط مصريين عظام وهم : الميرالاي سليم بك عوني قومندان ١ جي الاي والميرالاي حسين بك مظهر قومندان ٢ جي الاي والميرالاي ابرهيم بك حيدر قومندان ٣ جي الاي والميرالاي رجب بك صديق قومندان ٤ جي الاي فاقام هذا الجيش في ام درمان وبنى فيها رجب بك صديق طابية اشتهرت في حصار الخرطوم (واقعة المرابيع في ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٢) وكان اول ما اقرَّ عليهِ هكس باشا بعد وصولهِ الخرطوم ان يجرّد حملة على ود برجوب الذي كان لم يزل شاهراً العصيان في الجبلين وقد اجتمع اليهِ الزعماء الذين خذلهم عبد القادر باشا كود الصليحابي واحمد المكاشف واخيهِ عامر وغيرهم . فلما كان يوم ٣ ابريل خرج من الخرطوم مع سليمان باشا نيازي القومندان العام وجمع في الكوة نحو ٥٦٠٠ مقاتل فيهم الميرالاي حسن بك مظهر والميرالاي ابرهيم بك حيدر ومع كل منهما ثلاث اورط واليوزباشي حسن عزمي قومندان الطوبجية ومعهُ سبعة مدافع و٦٠ رجلاً وسنجقان من سناجق الاتراك مع كل منهما ٤٠٠ رجل وسار بهذه القوة قاصداً الجبلين . وخرج ود برجوب لقتالهِ بنحو ٥٠٠٠ مقاتل فالتقى الجيشان في المرابيع جنوبي أبا في ٢٩ ابريل سنة ١٨٨٣ وكان هكس قد نظم جيشهُ مربعاً فجعل حملة الجمال والمهمات في الوسط ولم يجعل المدافع في الزوايا كجاري العادة بل جعلها بارزة عنها ووصل اضلاع المربع وصلاً تامًّا حتى لا يبقى الى العرب سبيل الى دخولهِ ثم نثر حول المربع قطعاً صغيرة من الحديد ذات اربعة رؤُوس محددة تقف على ثلاثة منها . ولم يتم تنظيم المربع على هذه الصورة حتى اقبل الدراويش وفرسانهم في ساقتهم مهاجمين بهيئة قوس فلما صاروا على مرمى الرصاص صدرت الاوامر للعساكر فامطروهم سحابة من الرصاص برَّحت بهم تبريحاً وخاف فرسانهم

وكبراؤُهم ان يثنيهم ثقل الرصاص عن متابعة الهجوم فصاحوا بهم وحملوا في مقدمتهم بقلوب لا تهاب الموت فكنت ترى الفارس مجرداً سيفهُ ومطلقاً عنان جوادهِ قاصداً اختراق المربع فيصيبهُ الرصاص فيقع فيضمد جرحهُ بيدهِ ويعيد الكرة راجلاً حتى يصرعهُ الرصاص الى ان ملئت الارض من قتلاهم فولوا الادبار وقد قتل من كبارهم ١٢ رجلاً فيهم احمد المكاشف وجرح عامر المكاشف جرحاً بالغاً وجرح ود برجوب جرحاً اقعدهُ حتى صار يحمل على سرير. اما جيش هكس فقد قتل منهُ رجلان وجرح عشرون وتقدم هكس بجيشهِ الى الجبلين فوجد ديم الدراويش خالياً فعاد الى الدويم فترك جيشهُ فيها وتقدم الى الخرطوم ليعد نفسهُ للحملة على المهدي في كردوفان . وقد اختار الدويم النقطة الاساسية لهذه الحملة لانها ميناء حسن على النيل الابيض وبها شونة قديمة ومنها تتفرع الطرق الى كردوفان

(حملة هكس باشا على كردوفان) وكان عبد القادر باشا اذ ذاك قد عاد الى مصر قيل فالحَّ على الحكومة ببقاء الجيش محافظاً على النيل الابيض من الخرطوم الى فاشودة لمنع امتداد الثورة الى جزيرة سنار وترك المهدي وشأنهُ في كردوفان الى ان يظهر للناس نفاقهُ او تضيق بهِ البلاد فيضمحل من نفسهِ وكان هذا رأي الكثير من ساسة الانكليز ولكن الحكومة لم تزل مصممة على سحق المهدي في كردوفان خوفاً على دارفور وبحر الغزال فامرت هكس باشا بالزحف على المهدي في الحال فكتب تلغرافاً في ٣ مايو الى حكومة مصر يقول انهُ لا يتحمل مسئولية الحملة الاَّ اذا كانت لهُ القيادة العامة عليها ولما لم تلتفت الى طلبهِ قدم استعفاءهُ في ٢٣ يوليو سنة ١٨٨٣ فاهتمت اذ ذاك بالامر ونقلت سليمان باشا نيازي محافظاً على عموم شرقي السودان وجعلت هكس قومنداناً عامًّا على الحملة وامرت علاء الدين باشا بمرافقتهِ كقومندان ثانٍ للحملة وجعلت حسين باشا سرّي وكيلاً عنهُ في الخرطوم

فشرع هكس باشا في تجهيز الحملة . وكان اول ما لزمهُ الاهتمام بهِ وسائط النقل فارسل علاء الدين باشا الى شرقي النيل الازرق فاشترى ٤٠٠٠ جمل وكان عندهُ ١٥٠٠ جمل فاجتمع للحملة ٥٥٠٠ جمل . ثم ارسل علاء الدين باشا الى الدويم وشرع في ارسال الجند تباعاً من الخرطوم وام درمان . وفي ٩ سبتمبر سنة ١٨٨٣ سار ببقية الجيش الى الدويم فوصلها في ٢٠ من الشهر المذكور فاجتمع عندهُ فيها اربع اورط مصرية وخمس سودانية فيها ٧٠٠٠ من المشاة المنظمة و ٥٠٠ من الفرسان المنظمة و ٥٠٠ من الفرسان الباشبوزق و ١٠ مدافع جبلية و ٤ كروب و ٦ من نوع النوردنفلت . ما عدا ٢٠٠٠ من الاتباع و ٥٥٠٠ جمل و ٣٠٠٠ بغل و ١٠٠٠٠ حمار و ٥٠٠٠ فرس

واما ضباط الجيش العظام فهم الميرالاي سليم بك عوني قومندان الآلاي الاول والسيد بك عبد الخالق قومندان الآلاي الثاني وحسين بك فهمي قومندان الآلاي الثالث ورجب بك صديق قومندان الآلاي الرابع ما عدا السناجق الباشبوزق . واما حسين بك مظهر قومندان الآلاي الثاني السابق فقد رقي الى رتبة لواء ورافق الجيش قومندانًا على الآلايات الاربعة واما ابرهيم بك حيدر قومندان الآلاي الثالث السابق فقد رُقي ايضاً الى رتبة لواء

وصحب هكس من الضباط الافرنج الكولونل فركوهار رئيس اركان حرب و ٨ ضباط اركان حرب وسكرتيره الخاص ميخائيل افندي ناصيف اللبناني شقيق سليمان بك ناصيف من كبار موظفي الحربية بمصر وجورجي بك الحكيم الرومي ومكاتبو التيمس والدالي نيوز والغرافيك وكلهم من الانكليز . وصحبهُ من الخبراء صالح غانم وابرهيم محجوب وأوَا * ومن الملكية الوطنيين الذين استصحبهم من الخرطوم ليأمن شرّهم ويوليهم امر كردوفان في حالة النصر فناوي بك ابو عموري البحّاري الشهير وبساطي بك المحسي باشكاتب الخرطوم وحمد بك التلب الجعلي رئيس مجلس الاستئناف ومحمود بك احمد اني الكنزي مدير الخرطوم وعبد الرحمن بك بان النقا الجعلي من عمد التجار . وابقى الكولونل ده كوتلوجن من اركان حربهِ في النيل بين الخرطوم وفاشودة لمنع مهاجرة الناس من الجزيرة الى المهدي

وفي حال وصولهِ الى الدويم اجتمع بعلاء الدين باشا ونظرا في طريق الحملة فللابيّض من الدويم طريقان شهيرتان : طريق بارة طولها ١٧٦ ميلاً وماؤُها قليل وتصل الابيّض من الشمال . وطريق شات طولها ٢٦١ ميلاً وماؤُها كثير وتصل الابيض من الجنوب . فقال هكس بطريق بارة لانها اقصر وقال علاء الدين بطريق شات لان ماءها اغزر يكفي الحملة فقرَّ الرأي على قول علاء الدين . وسارت الحملة من الدويم في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٣ فمرّت بشات وتركت فيها حامية صغيرة لحفظ خط الاتصال مع النيل ثم تقدمت الى ابار زريقة وقبل الوصول اليها وقع اختلاف شديد بين هكس وعلاء الدين في شان خط الاتصال فاراد هكس ان يجعل في كل منهل حامية عسكرية مؤلفة من ٢٠٠ رجل لحفظ خط الاتصال مع النيل وقد ترك حامية في شات لهذه الغاية فاعترضهُ علاء الدين وقال ان هذه الحاميات لا تستطيع حفظ نفسها فضلاً عن خط الاتصال اذ البلاد كلها قد سلمت للمهدي فلا نترك حامية في منهل حتى تحيط بها العربان وتأخذها عنوة فنكون بذلك قد اهلكنا جانباً من رجالنا ولم نستفد شيئاً فعقد هكس باشا مجلساً من الضباط الافرنج والمصريين للحكم في الامر فاجمعوا على قول علاء الدين وسار الجيش من ذلك الحين كانهُ جسم واحد متأهب للقاء العدو في كل لحظة . وكان

سيره بهيئة مربع عظيم في مقدمتهِ الدليلان فالطلائع فالضباط العظام فاركان الحرب ثم المربع وهو مؤلف من المشاة في وسطهِ الطوبجية وفي ساقتهِ الفرسان ثم الجمال والاحمال ثم الفرسان الباشبوزق وهم وراء الكل

وكان المهدي لا يغفل طرفة عين عن مراقبة حركات الجيش فلما اتاهُ خبر قيام هكس من الدويم امر اصحابهُ فخرجوا من الابيض الى ساحة في شرقي المدينة ثم خرج بنفسهِ ونزل تحت شجرة شهيرة من شجر التبلدي وانتدب اربعة من كبار قوادهِ وهم : محمد عثمان الشهير بأبي قرجة والشيخ فضلو احمد وعبد الحليم مساعد وعمرود الياس باشا ومعهم نحو ٣٠٠٠ رجل وامرهم بالتوجه الى حيث تكون الحملة وتعقُّب حركاتها وعدم محاربتها في واقعة بل ان يناوشوها القتال ويمنعوا اهل البلاد من الانضمام اليها و يوافوهُ بالاخبار تباعاً . فصدعوا بالامر ووافوا الحملة بالقرب من العقيلة في ١١ اكتوبر فلازموها من ذلك الوقت وصاروا اذا سارت ساروا وراءها وطمروا الآبار بعدها واذا وقفت وقفوا بعيداً عنها وناوشوها القتال وما نطرف احد منها الاَّ قتلوهُ حتى ان الجمال لم تستطع المرعى لانحصارها في المربع فجاعت واكلت قش رحالها وخارت قواها فمات كثير منها وبدأ اللغط في الجند من ذلك الوقت فايقنوا بالخذلان وتوقعوا العواقب الوخيمة وصاروا كلما توغلوا في البلاد زاد خوفهم ولغطهم حتى رأَوا انهم سائرون حتماً الى حتفهم وما زالوا كذلك حتى وصلوا الى منهل الرهد في ٢٠ اوكتوبر سنة ١٨٨٣ فنزلوا في جنوبيهِ ونزل امراء الدراويش قبالتهم في شماليهِ وذهب احدهم عبد الحليم الى الابيض فاخبر المهدي بما كان من امرهم

وفرَّ من الحملة قبل وصولها الى الرهد بقليل خادم مكاتب الدالي نيوز وهو صف ضابط الماني اسمهُ كلوتس فذهب الى المهدي في الابيض واخبرهُ ان الحملة في يأس وخوف شديد فايقن المهدي انهُ غالب لا محالة وامر كلوتس باعتناق الاسلام ففعل فسماهُ مصطفى وبقي في الاسر الى ان حاول النجاة من القلابات فمات في الطريق

واقام هكس في الرهد ستة ايام ينظر في طريق الحملة الى الابيض ولم يكن للابيض من الرهد الاَّ طريقان : طريق الملبس وطريق البركة فقر الرأي على اختيار طريق البركة لانها اغزر ماء فسار بالجيش قاصداً المنهل المذكور وارسل في الطريق احد الخبراء ومعهُ عبد الى الابيض للاستعلام عن قوة المهدي ووجهتهِ ووصل بالجيش الى منهل علوبه الاثنين في ٢٩ اوكتوبر فوجد فيهِ ماء غزيراً فأقرَّ على البقاء فيهِ الى ان يعود الخبير بخبر المهدي * فلما كان يوم الخميس ١ نوفمبر عاد العبد وحدهُ ومعهُ ١٥٠٠ نسخة من كتاب كتبهُ المهدي الى هكس وجنودهِ وهذه صورتهُ

" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم " وبعد فمن عبد ربهِ الفقير المعتصم بمولاه محمد المهدي بن عبد الله الى من يسمع من اهل الجردة ممن لهُ عقل فانهُ لايخفى على ذي عقل الامر بيد الله لايشاركهُ في ذلك بنادق ولامدافع ولا صواريخ ولا عصمة لاحد الاَّ من عصمهُ الله تعالى فاذا فهمتم ذلك فاعلموا ان الله واحد فلا تغتروا بأسلحتكم ولا بجنودكم التي تريدون ان تقاتلوا بها جنود الله فان لاقوّة لشيءٍ دون الله وان قلتم ان مهديتنا مكذوبة فاعلموا الكذب انما يصدر ممن يحب الدنيا ويخاف المخلوق ويستعجز قوَّة الله فاذا فهمتم ذلك فلا تغرّنكم اقوال علمائكم فان الترك الذين قتلتهم شكوا للحق عزّ وجلَّ وقالوا يا الهنا ومولانا ان المهدي قتلنا فأقول انذرتهم يارب فلم يسمعوا وحضر على ذلك شاهداً سيد الوجود (صلعم) وقال لهم الامام المهدي انذرتكم فلم تسمعوا لهُ وسمعتم قول علمائكم فذنبكم عليكم فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون فقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى اذ جاءكم بل كنتم مجرمين فان كان لكم نورٌ تؤمنون بالله ورسولهِ والدار الآخرة وتصدقوا بمهديتنا وتخرجوا الينا مسلمين ومن سلم يسلم وان ابيتم الاَّ الجحود والاغترار بالمدافع والبارود فأنتم مقتولون كما اخبر سيد الوجود واسوتكم بمن سبقكم من الجنود والسلام "

فلما اطلع هكس على الكتاب مزّقهُ واحرق نسخهُ كلها . وسأل العبد عن الخبير فقال ان المهدي امر بقتلهِ وهو يستعد لمقابلة الجيش بطريق البركة

(واقعة شيكان في ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٣) ولما كان يوم الخميس ١ نوفمبر وهو يوم وصول العبد الى علوبه استعمل المهدي على الابيض احد اقاربهِ عبد الله ود الصمد وخرج بجيش بنيف عن ٥٠ الفاً قاصداً البركة فسار حتى نزل بمنهل فرتنقول وهو منهل قليل المياه جداً حتى ان المسافرين كانوا اذا نزلوا بهِ لايكاد يكفي العشرين منهم فضلاً عن دوابهم . قالوا فلما نزل المهدي بهِ ورأى قلة الماء صفر فخرج منهُ ماءٌ غزير اروى تلك الجيوش وفاض حتى سقوا رواحلهم وملأوا قربهم !!!

ثم بلغ المهدي وهو بالمنهل المذكور ان الجيش قاصد منهل البركة وجادٌّ السير ليسبقهُ اليهِ فأمر في الحال محمود بن عبد القادر من اقاربهِ وضوء الدين بن عبد الله رئيس النواب ومن معهما من اهل رايتهما فجدوا السير حتى وصلوا المنهل المذكور الجمعة في ٢ نوفمبر ثم ارتحل المهدي بباقي اصحابهِ صبيحة يوم السبت ٣ نوفمبر من منهل فرتنقول وفي ظهر ذلك اليوم نزل بمنهل البركة وكان هكس لما علم من العبد ان المهدي قصد البركة ارسل اليها رسلاً من علوبه

لتحقيق الخبر فعادوا واخبروا ان الدراويش قد احتلوها فجمع هكس اذ ذاك الضباط والخبراء فعدلوا عن طريق البركة واقروا على الطريق الملبس التي تمر بشيكان فخرجوا من علوبة فجر السبت في ٣ نوفمبر وساروا عشرة اميال ثم وقفوا وزربوا زريبة متينة وباتوا فيها الى صباح الاحد وبات الدراويش المطاردون لهم بالقرب منهم

اما المهدي فانهُ عند وصولهِ الى البركة ظهر يوم السبت كما مرَّ اتاهُ ابرهيم الحاج الشهير بالترجماوي ومعهُ جماعة وقالوا لهُ ياسيدي يقول الناس ان الترك عدلوا عن طريق البركة وقصدوا مدينة الابيض ليستاصلوا من فيها ويحوزوا النساء والذرية حتى شاع الخبر في الجيش وارجف الناس بذلك فلنتوجه الى الابيض قبل الترك . فالتفت المهدي وقال ايها الناس أَنصتوا ثم بصق في كفهِ اليسرى وقال اي شيءٍ هذا قالوا بصاق ياسيدي ثم طرحهُ على الارض فشربتهُ في الحال فقال للناس هل ترون لهذا البصاق أَثرًا فقالوا لهُ لا فقال نحن كالارض والترك كالبصاق . ثم قال اذا طار طائر فاين ينزل فقالوا لهُ على الارض فقال لهم ان الترك كالطائر ونحن كالارض ايها الناس اثبتوا واطمئنوا ونزلوا رواحلكم واستريحوا فان الترك لا قدرة لهم مع قدرة الله ثم قال غدًا يوم الاحد نتوجه اليهم وفي صبيحة الاثنين بعد ان نأمركم بمحاربتهم اذا تأَخر احدكم لاصلاح نعلهِ لم يدركهم احياء . ثم جمع المهدي جميع الفرسان واهل الاسلحة النارية فضمهم الى ابرهيم الترجماوي المذكور وارسلهم نجدة للسرية المطاردة الجيش في عشية ذلك اليوم (السبت) فوصلوها صباح الاحد في ٤ نوفمبر فوجدوا اخوانهم محيطين بالجيش من كل جانب احاطة السوار بالمعصم فزادوا في حصرهِ . وفي هذا اليوم قبيل الصبح ارتحل المهدي بكل جيوشهِ قاصدًا الجيش ونزل في منهل شيكان عند الضحى ويسمى هذا المنهل ايضًا بمنهل ام مصارين فلما نزل المهدي بهِ قال لهُ بعض اصحابهِ ياسيدي هذا المحل يدعى بمنهل ام مصارين فقال ان مصارين الترك تُصب فيهِ

وكان هكس لما اصبح صباح الاحد المذكور قد خرج من الزريبة التي كان بائتًا فيها واستطرد السير نحو منهل شيكان وهو لا يدري ان المهدي قد احتلهُ بجيوشهِ فما سار ساعة حتى خرج من جيش المهدي حمدان ابو عنجه وعبد الله ود النور وفوزي احد كتَّاب المهدي بمن معهم من الانصار المسلحين بالاسلحة النارية وبينهم عدد وافر من الفرسان وحملوا حملة صادقة على ساقة الجيش حيث المهمات والذخائر فاختلطوا بالعساكر فدارت عساكر المقدمة عليهم وهزمتهم ولكنهم تمكنوا من اخذ بعض الخيول والجمال والازواد وقد قتل منهم في تلك الهجمة اربعة بينهم فوزي كاتب المهدي وجرح عبدالله ود النور وقتل من الجيش رجب

بك قومندان الآلاي الرابع ونفر من العساكر . وزرب الجيش في محل الواقعة زريبة من شوك واقام فيها . قيل ولما رأى اصحاب المهدي ما حل بالجيش من التزلزل والاضطراب رغبوا الى المهدي ان يأذن لهم في الحملة عليهم مرة واحدة في ذلك اليوم فقال لهم اخبرني سيد الوجود ان الترك لا يموتون كلهم اليوم وانما هلاكهم يكون غداً الاثنين . وبقي اصحاب الاسلحة النارية منهم محيطين بالجيش يرمونهُ بالرصاص بقية ذلك اليوم وليلة الاثنين الى الصباح فحملوهُ خسارة تذكر وكان في جملة من قتلوهُ جورجي بك الحكيم . فرأى هكس ان الاقامة في تلك الزريبة لاتجدي نفعاً ولم يكن يدري اي سبيل يتبع فجمع مجلساً من الضباط العظام والملكية الذين صحبوهُ فلم يقروا على رأي وكثر اللغط بين الجند وتسلط الرعب على قلوبهم واشتد بهم العطش لبعدهم عن الماء فايقنوا بالهلاك . فعوَّل هكس اذ ذاك على المسير تحت رحمة الله نحو منهل شيكان . وقيل ان الخبراء الذين كانوا معهُ كان بينهم وبين المهدي مواطأة سرية فقادوا الجيش في الطريق التي دلهم عليها المهدي

فلما كان ضحى الاثنين ٥ نوفمبر ١٨٨٣ خرج هكس بجيشهِ من الزريبة بثلاثة مربعات على شكل مثلث متساوي الاضلاع في كل زاوية مربع وبين المربع الواحد والآخر ٣٠٠ ياردة وفي وسط كل مربع مهماتهُ وذخائرهُ . وسار هكس وأركان حربهِ في مقدمة الجيش يتبعهُ بعض الطوبجية باربعة مدافع ومن وراء المدافع المربع الاول ثم المربعان الآخران واحد الى اليمين وواحد الى اليسار وكان السواري يحمون المؤخرة والجوانب المكشوفة من المربعات وما سار الجيش على هذا الترتيب نصف ساعة حتى دخل وادياً مفتوحاً شائكاً وعلى كل من جانبيهِ غابة كثيفة فجعل المهدي معظم جيشهِ في تينك الغابتين عن يمين الجيش وشمالهِ وجعل الباقي في وسط الوادي في طريق الجيش وعليهم عبد الرحمن النجومي وكان محمد قرجه ومن معهُ من الانصار لم يزالوا متتبعين الجيش من الوراء فاصبح الجيش مكتنفاً بجيوش الدراويش من الجهات الاربع . وكان المهدي لما رأى الجيش من بعيد جمع امراءهُ لآخر مرة وصلى امامهم ثم رفع سيفهُ ونادى الله اكبر عليهم ثلاثاً ثم قال احملوا عليهم ولا تخشوا نيرانهم فان ارواحهم مزملة ونيرانهم لا فعل لها وانكم لظافرون عليهم باذن الله فما دخل الجيش ذلك الوادي حتى حملوا عليهِ حملة واحدة من كل جهة فاخترقوا صفوفهُ واوقعوا الفشل في العساكر واخذوا يقتلونهم طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف واستفرسوا في القتال فلم يمضِ ساعة حتى قتل الجيش برمتهِ وفيهم هكس واركان حربهِ وعلاء الدين باشا وجميع الضباط المصريين والافرنج وقد تراكمت جثث القتلى في محل الواقعة كالتلال ولم ينجُ من الجيش كلهِ الاَّ ملازمان

(وهما محمد افندي صلّي من المنصورة وقد فرَّ بعد ذلك من الخرطوم الى مصر واحمد افندي عزمي وقد مات في كردوفان) ونحو ثلاثمائة جندي اختبأُوا بين الاشجار ودواب الحملة والقتلى فوقعوا كلهم في الاسر. وعند نهاية الواقعة قطعوا رأس هكس وحملوهُ الى المهدي وقد قاتل هكس واركان حربهِ وجميع رجال الجيش ما استطاعوا الى القتال سبيلاً وماتوا موت الابطال بعد ان قتلوا من الدراويش نحو مئتي رجل منهم ابو اميَّة والطاهر وغيرهما من اقارب المهدي وضوء الدين بن عبد الله رئيس النواب وهو من اصحاب المهدي السابقين ومحمد وعبد الرحمن ابنا النصري وعثمان ابن عم الخليفة محمد شريف وعبد الرحيم احد المادحين للمهدي وغيرهم فنقلوا الى محل المهدي فامر بدفنهم بما عليهم من الثياب . ثم امر المهدي فجمعت الغنائم ونقلت الى البركة فكان منها شيء كثير من الاسلحة والجبخانة والمدافع والميرة . واقام المهدي بشيكان الى يوم الاربعاء ثالث يوم الواقعة ثم خرج منها عائداً الى منهل البركة فأَقام فيهِ بضعة عشر يوماً وهناك فرَّق الغنايم بين اصحابهِ بعد اخراج الخمس منها لنفسهِ

ثم عاد الى الابيض بالمدافع والذخائر والاموال فدخلها باحتفال شائق وكتب الى عمالهِ في الجهات مبشرًا اياهم بالنصر الذي اتاهُ الله عن يدهِ في قتلة هكس وهذه صورة ما كتبهُ الى عثمان دقنه في ١٠ ربيع اول سنة ١٣٠١ و٩ يناير سنة ١٨٨٤

" ومن خصوص الجردة المصرية التي بلغكم انها حضرت الينا من طريق الخرطوم وصلتنا وحصل الظفر عليها بأَمر الله تعالي وقتلناها عن آخرها شر قتلة بما فيها من الروُّوس الكبار احدهم علاء الدين باشا والثاني هكس النصراني والثالث حسن وغيرهم من الضباط والآن جميع مدافعهم واسلحتهم بيدنا وهي شيء كثير جدًّا وكان هلاك المذكورين في يوم الاثنين ٤ محرم سنة ١٣٠١ هـ بجهة علوبة (شيكان) وعددهم كما قيل ستة وثلاثون الفًا (?) فانقرضوا في اقل من ساعة واشتعلت النار في اجسامهم بأَمر الله السماوي هذا وافيدونا باحوالكم والسلام " اه

(اخلاء السودان) وكان هذا الانخذال العظيم الذي اصاب الحكومة في شيكان قد قضى على نفوذها في السودان القضاء المبرم فان عقلاء اهل الجزيرة وغالب اهل الخرطوم والسودان كانوا قبل هذه الواقعة يترددون في اتباع محمد احمد وينتظرون حربهُ مع هكس فلما علموا بما اصاب هكس وجيشهُ ورأَوا عجز الحكومة عن اذلالهِ انقطع كل رجاء لهم في الحكومة ووفدوا على المهدي بالابيض افواجاً يبايعونهُ وفي جملتهم الملك آدم أم دباله ملك جبال تقلي. وانتشر خبر المهدي في العالم الاسلامي كلهِ فجاءتهُ الوفود من الحجاز والهند وتونس ومراكش لزيارتهِ وتحقيق دعوتهِ

قوانين يوستنيانوس

(تابع ما قبله)

(٤) من اوصى وصية غير قانونية قبل ان يتجند ثم تجند ودخل في القتال فله ان يفتح كتاب الوصية ويزيد عليهِ او يحذف منهُ بعض شروط وله ان يصرح بارادتهِ الاخيرة بانهُ اقام هذا الصك مقام كتاب الوصية وينبغي ان يعد كوصية جديدة صادرة من جندي

(٥) وصية الجندي لا تبطل بتغير الحالة

(٦) اعلم انهُ لما منحت القوانين الاساسية بعض اشخاص مالاً كالذي يوفره الجندي اجاز قانوننا لكل احدٍ ان يوصي بما عنده من المال الشبيه بما يوفره الجندي لكن هذا بحسب القانون العام

الفصل الثاني عشر فيمن لا يؤذن لهم ان يوصوا

ليس لمن هم تحت ولاية الغير ان يوصوا ما خلا الذين سبق لنا ذكرهم

(١) لا يجوز للقاصر ولا للمجنون ان يوصيا الاَّ ان المجنون اذا افاق جاز له ان يوصي

(٢) لا يجوز للمسرف ان يوصي

(٣) يجوز للاصم والابكم ان يوصيا في بعض الاحوال وبشروط معينة

(٤) يجوز للاعمى ان يوصي بشرط ان يجري على الصور التي وردت في شريعة يوليانوس

(٥) وصية من هو اسيرٌ عند العدوّ باطلةٌ . وكذا ما فعل هنا لك

الفصل الثالث عشر في حرمان الاولاد من الميراث

من كان له ابن تحت ولايتهِ فيجب إما ان يقيمهُ وارثاً واما ان يحرمهُ الميراث صريحاً والاَّ فالوصية لاغية لا فائدة لها . واما البنات وسائر الاولاد النازلين من الذكور سواءٌ كانوا ذكوراً او اناثاً فهذا الحكم لم يكن جارياً في حقهم قديماً

(١) المولود بعد وفاة ابيهِ لايخلو إما ان يكون قد أُقيم وارثاً واما ان يكون قد حرم من الميراث . واما البنت المولودة بعد وفاة ابيها فكانت تحرم الارث اما بقولهِ لا أُورث الولد الذي يولد لي بعد موتي . وقد قرر ان الذكر المولود بعد موت ابيهِ لا يحرم من الميراث قانونياً الاَّ اذا قال الوالد ان الذكر الذي يولد بعد موتي لا يرث شيئاً من تركتي

(٢) في حكم المولودين بعد وفاة آبائهم من يقومون مقام ذوي الميراث فهؤلاء يصيرون بكونهم اشباه ذوي القرابة المدنية ورثةً للاصول الصاعدين

(٣) اما الاولاد المأذونون فليس من الضروري بحسب الشرع المَدَني ان يقاموا وَرثةً ولا ان يحرَموا من الميراث لانهم ليسوا ورّاثاً

(٤) الاولاد المتبنَّون هم ما بقوا تحت الولاية إما مقامون ورثةً واما محرومون من الارث أما المأذونون فلا يدخلون في عداد الاولاد بالشرع المَدَني ولا بالحق المترتب على حكم القاضي

(٥) انّ قانوننا لا يفرق في حق من هذا القبيل بين الذكور والاناث ولذلك حكم ان كلاًّ منهم اما ان يقام وارثاً . واما ان يحرَم من الميراث صريحًا سواء كان قد وُلد او كان جنينًا لم يُولد بعد

(٦) ان الجنديّ اذا أوصى وهو في الغزاة ولم يذكر اولادهُ وهو عالم بانّ لهُ اولاداً يعدّ اغفال ذكرهم كحرمان لهم صريح من ارثهِ

(٧) الام والجدّ يجوز لهما ان يغفلا ذكر الاولاد

الفصل الرابع عشر في اقامة الوَرَثة

يجوز للانسان ان يورّث من شاء من الاحرار والعبيد سواء كانوا عبيدهُ او عبيد غيرهِ ولهُ في ايامنا ان يورِّث عبيدهُ ولو لم يعتقهم واما عبد الموصي فهو من ملك الموصي رقبتهُ دون منفعتهِ واما عبد الغير فهو من كان للموصي حقّ الانتفاع بخدمتهِ فقط

(١) العبد اذا اقامهُ سيدهُ وارثاً تحرَّر وصار وارثاً ضروريًّا لهُ . واما العبد الذي اعتقهُ الموصي في حياتهِ فلهُ ان يستلم الميراث وان لا يستلمهُ . واذا كان هذا العبد قد بيع فيجب امتثالاً لأمر مولاهُ الجديد ان يتسلَّم الميراث واما عبد الغير المقام وارثاً فان كان باقيًا على حالهِ وجب ان يأخذ الميراث بأمر مولاهُ . وان كان قد بيع في حياة الموصي أو بعد موتهِ وقبل استلام الميراث وجب ان يستلمهُ بأمر مولاهُ الجديد . وان كان قد حرِّر قبل الاستلام كان بالخيار بين ان يستلم ميراثهُ وأن لا يستلمهُ

(٢) عبد الغير هو المقام وارثاً شرعًا بعد وفاة مولاهُ

(٣و٤) للانسان ان يقيم من الوَرَثة ما شاء

(٥) تقسم التركة الى اثني عشر قيراطاً وهي تعادل اصل التركة المسمَّى (عندهم أسًّا) وليس الأس بمنحصرٍ في هذا العدد بل هو يحتمل ان يجزَّأ على قدر ما يريد الموصي ان يجزّئهُ

(٦) متى تعدَّد المُوَرَّثون وجب تقسيم التركة ان لم يُرد الموصي ان تكون حِصصهم متساويةً . واذا كانت السهام معيَّنةً لعدد من الوَرَثة ثم أُقيم وارث آخر ولم يُعيَّن لهُ سهم

فان كان قد بقي من اصل التركة كسر فيصير هذا المورّث وارثَ ذلك الكسر وان تعدَّد المورّثون قسّم ذلك الكسر بينهم واذا استغرقت السهام التركة فذوو السهام المعيَّنة يأخذون نصف التركة. واما الذي او الذين ليس لهم سهامٌ معيَّنة فيأخذون النصف الآخر كلهُ

(٧) واذا لم تستغرق السهام التركة يُقمْ وارث من دون سهم فالسهم الزائد يوزَّع على الورثة بقدر حصَّة كلٍّ منهم من التركة [١]

واذا تعدَّد المورّثون المسمَّى لهم سهام فيقع النقص في سهم كلٍّ منهم [٢]

(٨) اذا وُزّع اكثر من اثني عشر قيراطاً فمن وُرِّث ولم يُعيَّن لهُ سهم يكن لهُ بقية الاصل الثاني

(٩) قد يقام الوارث مطلقاً وقد يقام بشرط لكن لا اعتباراً من زمن معيَّن ولا الى زمنٍ معيَّن

(١٠) الشرط المستحيل يُعد غير مكتوب

(١١) اذا اشترط عدَّة شروط معاً وجبت رعايتها جميعها واذا اشترِط شرط منها على حدةٍ فيُراعَى منها ما يُراد

(١٢) يحقّ للموصي ان يقيم وارثاً من لم يَرهُ

الفصل الخامس عشر في الايصاء العام

لكل من الناس ان يقيم بكتاب وصيَّتهِ ورثةً مختلفي الدرجات

(١) ولهُ ان يقيم عدَّة اشخاصٍ مقامٍ واحدٍ او واحداً مقام عدَّة اشخاصٍ او واحداً مقام واحدٍ او ان يجعل بعض من اقام من الورثة مقام بعض

(٢) اذا ورَّث جماعةً وجعل لهم سهاماً غير متساوية ثمَّ عدل عن توريثهم وورَّث غيرهم مكانهم ولم يذكر لهم سهاماً فيأخذ هؤلاء المورثون السهام التي كان قد عيَّنها لمن رجع عن توريثهم

(٣ و ٤) يراد بهذه العبادة " اذا لم يصرِ وارثاً " نظراً الى من اقامهُ الموصي وارثاً وهو يعلم انهُ تحت ولاية الغير يُراد بها انهُ اذا لم يصر وارثاً بنفسهِ او بغيرهِ . واماَّ نظراً الى

---

(١) هذا يسمى في علم الفرائض السرد وهو ان تزيد التركة على السهام فيردّ الفاضل عليهم بقدر سهامهم

(٢) هذا ما يسميهِ علماء الفرائض بالعول وهو زيادة السهام على مخرج الفريضة ليدخل النقص على كلٍّ منهم بقدر فرضهِ كنقص ارباب الديون بالمحاصة واول من حكم بالعول عمر فانهُ وقع في صورةٍ ضاق مخرجها عن فروضها فشاور الصحابة فاشار العباس الى العول فقال أعيلوا الفرائض ومن صور العول ان تموت امرأة عن جوز وشقيقتين فللزوج النصف وللشقيقتين الثلثان واصل المسئلة من ستة فالنصف ثلاثة والثلثان اربعة ومجموع ذلك سبعة فالفرائض زادت على المخرج وعالت الى سبعة (الدر المختار)

المقام وارثًا المعتبر كربٌ بيت فيراد بها انهُ اذا لم يحرز التركة بنفسهِ ولا بمن رُبَّما يكون تحت ولايتهِ فيما بعد

الفصل السادس عشر في اقامة وارث للوارث القاصر

قلنا انهُ يجوز لكل من الناس أن يقيم أوصياء لولدهِ غير البالغين الذين هم تحت ولايتهِ ويجوز لهُ ايضاً ان يفعل ذلك بحيث ان هؤلاء الأولاد بعد ان يحرزوا التركة وهم غير بالغين عند موتهِ يكون لهم شخص يرثهم

(١) قد وضعنا قانونًا يجوز بمقتضاهُ لمن لهم اولادٌ او حَفَدَةٌ اوسلالة محرومة بسبب صوابيّ ان يقيموا لهم اشخاصاً معيَّنين سواءٌ كانوا من الذكور او الاناث ومن ايَّة درجة كانوا من هؤلاء النازلين وان كانوا لذلك الحين غير بالغين

(٢) وكذا يكون في اقامة وارثٍ للوارث القاصر كتاب وصيَّة واحد لتركتين

(٣) اذا خشي احدٌ ان ابنهُ القاصر يكون عرضةً بعد موتهِ لمكايد خَطِرةٍ متأتية من تعيينهِ وارثًا لابنهِ اذا مات فيجب عليهِ في القسم الاول من كتاب وصيتهِ ان يعمل الايصاء العام . واما النص الذي بهِ يقيم وارثًا لابنهِ فيما لو توفي بعد أخذ الميراث وقبل ان يبلغ فيجب عليهِ ان يكتبهُ في الجزء الاسفل من كتاب الوصية على حِدَةٍ وان يطبق هذا الجزء الاخير ويربطهُ برباط من جنسهِ ويختمهُ بشمع خاصٍ ويمنع في الجزء الاوَّل من كتاب الوصيَّة فتح الجزء الثاني في حياة ابنهِ اذا كان بعد قاصرًا

(٤) يحق للآباء ان يقيموا ورثة لأولادهم القاصرين الموَّرثين بل للمحرومين منهم والمولودين بعد وفاة آبائهم

(٥) مامن احد يعمل كتاب وصيَّة لأولادهِ من دون ان يعملهُ ايضاً لنفسهِ

(٦) يجوز للانسان ان يقيم وارثًا لكلٍّ من اولادهِ او للاخير منهم فقط الذي يموت قاصرًا

(٧ و ٨) حدُّ البلوغ السنة الرابعة عشرة للذكر والثانية عشرة للانثى

(٩) ليس لاحدٍ ان يقيم وارثًا على الوجه المذكور لاجنبيٍّ او لابنٍ بالغ أُقيم وارثًا وغاية مايجوز للمورّث ان يفعل انما هو الزامهم على سبيل الاستيداع بتسليم كل تركتهِ او بعضها الى ثالث

الفصل السابع عشر في ايّ الوجوه تبطل الوصايا

ان الوصية الجارية على الوجه الشرعيّ شرعية حتى تُنقض او تبطل

(١) تفسخ الوصية اذا وُجد حقّ الوصية نفسهُ معيبًا ولو لم يطرأ على الموصي تغيُّر الحالة

(٢) الوصية الشرعية المتأَخرة تبطل وصيةً متقدّمةً

(٣و٤) الوصايا الشرعية تبطل متى تغيَّرت حالة الموصي

(٥) في هذه الحال يقال ان الوصايا قد أُبطلت

(٦) ان الوصايا لا تكون مع ذلك غير مفيدةٍ تماماً لانهُ اذا أُيدت بختم سبعة شهود فللمورّث بحسب الواح الوصية ان يضع يدهُ على الاملاك بشرط ان يكون الموصي ابن الوطن الروماني وتحت السلطة الرومانية عند وفاتهِ

(٧) لا يصحّ ابطال الوصية بهذا وحدهُ وهو ان الموصي لم يُرد فيما بعد ان الوصية تكون شرعية

الفصل الثامن عشر في الوصية غير الرسمية

يقبل من الاولاد الذين لهم ان يتشكوا لحرمانهم الارث ظلماً او للاحزاب عن ذكرهم جوراً الاعتراض على الوصية غير الرسمية بان الموصي لم يكن في صحة عقلهِ عند ما أوصى

(١) يجوز للاصول ان يعترضوا على وصية الاولاد بانهما غير رسمية والاخ والاخت يفضلان بحسب القوانين العاهلية على الاوشاب المقامين وَرَثةً

(٢) للاولاد الطبيعين والمتبنين ان يعترضوا على الوصية بانها غير رسمية ان لم يكن لهم وسيلة ما شرعية للرجوع على تركة الميت

(٣) ولا سيما ان لم يترك لهم شيء بكتاب الوصية لكن الامر على ضد ذلك اذا ترك لهم جزء من التركة او شيء معين فاعتراضهم على الوصية انها غير رسمية يبطل باتمام ما ينقصهم ويوصلهم الى ربع حصتهم الشرعية

(٤ و ٥ و ٦) كذلك من حصل على ربع ما كان يجب لهُ لا يحق لهُ ان يعترض على الوصية من حيث هي غير رسمية سواء كان واحداً او جماعة

الفصل التاسع عشر في صفة الورثة واختلافهم

الورثة اما ضروريون او حقيقيون وضروريون معاً او اجانب

(١) الوارث الضروري هو العبد المقام وارثاً وانما قيل لهُ ضروري لانهُ عند وفاة الموصي يصبح حرًّا ووارثاً بلا اعتراض

(٢) الورثة الحقيقيون والضروريون معاً هم الاولاد الذين كانوا تحت ولاية الميت عند وفاتهِ وانما قيل لهم حقيقيون لاعتبارهم بوجهٍ ما كأَصحاب الملك حتى في حياة الاب . وانما قيل لهم ضروريون لانهم يصيرون ورثةً عند موت الموصي طوعاً او كرهاً ذكروا في الوصية او لم يذكروا ومع ذلك فمتى ارادوا التخلي عن التركة فالقاضي يأذن لهم في ذلك

(٣) كل من عدا هؤلاء من الورثة فهم ورثة اجانب

(٤) اما الورثة الاجانب فيتعين ان تعمل الوصية بعلمهم ولا بدّ من رعاية هذا الشرط في وقتين الاول وقت الايصاء وذلك لتكون اقامة الوارث مشروعةً والثاني عند وفاة الموصي وذلك لاجل التنفيذ واضف الى هذا وجوب الايصاء بمعرفة الوارث الاجنبي حين يستلم الميراث ومن يصر اهلاً بقوة وصية الغير لان يرث لنفسهِ او لغيرهِ فلهُ حق الايصاء

(٥) للورثة الاجنبيين الخيار ان يقبلوا الميراث او يردّوهُ فهؤلاء ان قبلوا الميراث او ردّوهُ فليس لهم بعد ذلك حقّ الرجوع عن القبول او الردّ ما لم يكونوا قاصرين

(٦) مع ذلك قد دعانا الرفق الى وضع قانون ما لهُ انهُ يجوز قبول الميراث مع التعهد بما لا يزيد على قيمة التركة

(٧) الوارث الاجنبيُّ المقام او المسهم لهُ في تركة شرعية يصير وارثاً سواءٌ كان ذلك بقبول الارث او بمجرَّد التصريح بعدم قبول الميراث وكما يصير الاجنبيُّ وارثاً بمجرَّد التصريح بقبولهِ كذلك يخسر حقوقهُ في التركة بمجرَّد الردّ

الفصل العشرون في الموصى بهِ

لنأخذ الآن في ذكر الموصى بهِ

(١) الموصى بهِ هبة يتركها الميت ليسلمها وارثهُ الى الموصى لهُ

(٢) قد وضع القدماء الفاظاً لكل نوع من انواع الموصى بهِ وبهذه الالفاظ كانوا يفرقون بين الانواع المختلفة وقد قرَّر قانوننا ان ما يوهب بالوصيَّة يُعدّ كلهُ جنساً واحداً وانهُ يؤذَن للموصى لهُ ان يأخذ الموصى بهِ بالمطالبات الشخصية والعقارية والرهنية بدون التفريق بين ما كان يستعمل من الالفاظ للايصاء

(٣) وزد على ذلك انا نحكم ضرورةً بان يضاف الى الموصى بهِ كل ما بهِ المصلحة من احكام لوديعة كما نحكم ان يضاف الى حكم الوديعة كل ما يحتمل ان يكون اكثر مطابقة للموصى بهِ

(٤) شيءُ الوصيّ او شيءُ الوارث او شيءُ الغير يصحّ ان يوصى بها بحيث ان الوارث يكون مكرهاً على ان يشتريها واذا لم يتسنَّ لهُ اشتراؤُها فيؤدي ثمنها وذلك مشروط بأن يكون المتوفى عالماً ان الشيء كان ملك الغير . والبيِّنة على المدعي

(٥) متى اوصى بشيءٍ مرهون عند الدائن يتعيَّن على الغريم أن يفكّهُ اذا علم انهُ كان مرهوناً

(٦) اذا كان قد اوصى بشيء الغير ثمَّ ملكهُ الموصى في حياة الموصي كان لهُ ان يأخذ ثمنهُ بحكم الوصيةً

(٧) ان الشيء غير الموجود يصح الايصاء بهِ شرعاً اذا كان من الممكن أن يوجد يوماً ما قد أُوصي لهُ بعين ذلك الشيء واما اذا كان قد أُوصي لهُ بالانتفاع بهِ فقط ولم يوصِ لهُ بملكيَّة عينهِ لم يكن لهُ أَخذ ثمنهِ

(٨) متى أُوصي بشيء واحدٍ لاثنين اما على انفراد او معاً وجب ان يُقسم بينهما اذا استلم الاثنان الموصى بهِ فيأخذ شريكهُ كل الوصيَّة اي الموصى بهِ

(٩) اذا اوصي بارض الغير لمن اشترى عينها ولمن صار يستغلُّها فالموصى لهُ يتصرف فيما بعد بقوة الوصيَّة وقد حكم جوليان ان تصرفهُ قانوني وان لهُ ان يأخذ الأَرض

(١٠) اذا اوصى لشخص بشيء كان لهُ فالوصيَّة غير مفيدة

(١١) اذا أَوصى شخص بشيء معتقداً انهُ لغيره فالوصيَّة شرعيَّة . وكذا ان اعتقد انهُ أُوصي بشيء الموصى لهُ

(١٢) اذا الموصي أَوصى بشيء لهُ خاصّ ثم باعهُ فعند سِلس ان كان البيع باتًّا فالشيء الموصى بهِ مستحقٌ للموصى لهُ وان لم يبع بعض الموصى بهِ فالباقي مستحقٌ بلا اشكال وكذلك البعض المبيع ان لم يبع بيع وفاء

(١٣) من أَوصى لمديونهِ بمال عليهِ فوصيَّتهُ شرعيَّة

(١٤) اذا المديون اوصى لدائنهِ بما لهُ عليهِ فالوصية غير مفيدة ان لم يكن الموصى بهِ اكثر من الدين

(١٥) اذا الزوج اوصى لزوجتهِ بمهرها فالوصية شرعية

(١٦) اذا هلك الموصى بهِ بدون تعدٍ من الوارث هلك على الموصى لهُ

(١٧) اذا اوصى شخص بإماء مع اولادهنّ وبالاولاد حين تكون الامهات ميتات يدخلن في الموصى بهِ . واذا اوصى بعبدٍ مع مالهِ والعبد ميت او محرَّر او مبيع فالوصية بالمال تلغو واذا اوصى ببيت مع اثاثهِ وامتعتهِ ومواعينهِ وكان البيت قد بيع صارت الوصية بالامتعة والمواعين لاغية

(١٨) اذا اوصى بقطيع ثم نقص القطيع حتى لم يبقَ الاَّ نعجة واحدة فالباقي يصح ان يسترد

(١٩) ما أُضيف بعد اتمام الوصية الى الابنية الموصى بها فهو بحسب حكمنا داخل في الموصى بهِ

(٢٠) اذا أُوصي بمال وفرهُ العبد فما زاد عليهِ او نقص منهُ في حياة الموصي فالزيادة للموصى لهُ والنقص عليهِ . ومال العبد ما لم يكن قد أُوصي لهُ بهِ فلا يجب للمحرر ولو كان

يكفيهِ ان لا يجرد منهُ وهو حيٌّ

(٢١) كما يجوز الايصاء بالعروض والعقاد والحقوق والمرافق يجوز للميت ان يوصي لأيٍّ كان بما يجب لهُ عليهِ

(٢٢) متى أُوصي بشيءٍ على وجه الاجمال فالخيار للموصى لهُ ما لم يكن الموصي قد أوصى بخلاف ذلك

(٢٣) اذا تعدَّد الموصى لهم المفوَّض اليهم الاختيار ولم يتفقوا على الشيء الذي فُوّض اليهم اختيارهُ او تعدَّد ورَّاث الموصى لهُ الواحد ولم يتفقوا على الاختيار فيقترع حينئذٍ فمن اصابتهُ القرعة كان الاختيار لهُ

(٢٤) لا يصحُّ ان يوصى الاَّ للذين يجوز ان يوصى لهم

(٢٥) ما كان يجوز قديمًا ان يترك الموصى بهِ ولا الوديعة في ايدي مجهولين. واذا عرف شخص بعض التعريف كانت الوصية لهُ شرعية . ثم ان الموصى بهِ والوديعة المتروكين الاشخاص غير معينين والمسلمين لهم خطأً لا يمكن ان يستردا

(٢٦) الوصية الموصى بها للغريب المولود بعد وفاة والدهِ باطلة

(٢٧ و ٢٨ و ٢٩) متى غلط الموصي في اسم العائلة واللقب واسم الشخص وتكملة اسم الموصى لهُ فلا تزال الوصية شرعية ان لم يقع شك في هوّية المشخص

(٣٠) ان التعريف المغلوط غير مبطل للوصية تبعًا لقاعدة شرعية

(٣١) وباقوى حجة ان السبب الكاذب المضاف الى الوصية لا يبطلها

(٣٢) الوصية التي تبطل لو مات الموصي في الحال فلا تصحُّ ولو عاش الموصي زمانًا أطول

(٣٣) العبد حين يقام وارثًا يوصي شرعًا لمولاهُ تحت شرطٍ

(٣٤) ان شريعتنا تجيز ان يوصى قبل اقامة الوارث وبين التوريثات المختلفة

(٣٥) الوصية المعمولة لتسلم بعد موت الوارث او موت الموصى لهُ كلتا هما لا فائدة لها فنحن قد صححنا هذا الشرط . وجعلنا الوصيات التي من هذا القبيل في حكم الوديعة

(٣٦) انهُ كان من الباطل قديمًا الوصية المعمولة او المبطلة او المحوَّلة بحجة القصاص وكذلك لم يكن جائزًا الاعتاق بحجة القصاص واضف الى ذلك انهُ لم يكن سائغًا ان يزاد على عدد الورثة بحجة القصاص واما نحن فقد حكمنا ان الاشياء التي يوصى بها معطاة كانت او مزالة او محوَّلة الى آخر بعلة القصاص حكمها حكم سائر الوصيات الاَّ انهُ يستثنى ما يكون مستحيلا الممنوع بالشريعة والمضاد الآداب

(سعيد الخوري الشرتوني)

القوة في الشيخوخة

من مقالة للدكتور مديصن تيلر الاميركي

يظهر لاول وهلة ان درس حالات الجسم البشري وما يطرأُ عليهِ من التغير بعد سن الكهولة امرٌ جدير بالعناية والاهتمام وهو كذلك فان المبدأ الاساسي في الاقتصاد ليس مقدار ما نكسبهُ من تجارتنا او صناعتنا بل مقدار ما نذخرهُ من ذلك المكسب او نوفرهُ فان فائدة يجنيها الولد من العناية بتربيتهِ او اليافع من ترقية قواهُ العقلية والبدنية لا تحسب بالامر الكبير ان كانا لا يتمتعان بها الاَّ مدة قصيرة من العمر . وكذلك فائدة الوسائط التي تمكننا مع التمتع بلذات هذه الحياة على حسب ما تعلمناهُ بطول الاختبار وحسن الاختيار لا تعدُّ امراً كبيراً اذا كانت لا تدوم طويلاً

الشيخوخة لفظ نسبيٌّ فان من الناس من ترى آثار الهرم بادية عليهم وهم لا يزالون صغار السنّ ومنهم من تزينهم نضارة الشباب وان تجاوزوا سن الكهولة او بلغوا من الكبر عتيًّا . ولا بد من فائدة كبيرة من توجيه العناية الى مقاومة التغيير الذي يطرأُ على الجسم كما تقدم في السن . وقد تمَّ شيءٌ من ذلك كما يظهر من زيادة متوسط العمر عموماً

واساس اطالة العمر الاهتمام بتربية الاطفال والاعتناء بطعامهم وصحتهم في الاشهر الاولى من ولادتهم . فاذا كان الاساس مكيناً سهل جعل البناء مكيناً ايضاً . ولا فائدة من تسهيل سبل النمو والارتقاء في وجه الامة اذا أُهمل امر اطفالها وهم في اشهرهم الاولى من عمرهم لان العقاقير والادوية لا تصلح الخلل الذي يطرأُ على الاجسام بسبب اهمالها في اوائل الحياة

وهناك قضايا مقررة في اطالة العمر وهي ان تغذية الطفل الطبيعية تفضل التغذية الاصطناعية وان الشيوخ الذين بلغوا سن الهرم قضوا اوائل عمرهم في الاماكن غير المزدحمة بالسكان وان الذين يقطنون الاماكن المزدحمة لا يكونون اقوياء البنية الاَّ اذا كانوا قد قطنوها حديثاً واما اولادهم واولاد اولادهم فيكونون اضعف منهم . وقد ظهر من احصاء السكان في مدينة لندن ان اولاد الاحفاد ينقرضون من الاحياء المزدحمة . والنتيجة ان السكن خارج المدن شرط لازم من شروط طول العمر . فان الولد الذي يولد وينشأُ في المدينة عرضة لآفات كثيرة تتلف بنيتهُ بتحميل اعضاء الحسّ ماهو فوق طوقها مثل الاصوات الكثيرة وزيادة الانتباه الى ما حولهُ . وزد على ذلك الهواء الفاسد مما يشوبهُ من الغازات المضرة والغبار الحامل لجراثيم الامراض وما شاكل . فهذه الامور وغيرها ترجح على ما في المدن من المزايا التي لا تنكر

من مثل شوارعها المبلطة وقلة تعرضها للرياح واتقان منازلها وما اشبه من المزايا التي تمتاز بها المدن على القرى . اما الذين ينفقون عن سعة ويستطيعون الانتقال من المدن الى الارياف للتمتع بعيشة الخلاء والسكون فليس ما يقال في امرهم . والذين بلغوا سنَّ الكهولة وباتوا يضنون بقواهم ان تضيع سدىً لا يصعب عليهم ان يحافظوا على تلك القوى بالتنزهِ عن هموم الحياة ومشاغلها والابتعاد عن الاشغال والاعمال حين الاقتضاء وتقليل الطعام والامتناع عن المنبهات والمخدرات وقضاء مدد طويلة من غير عمل وتقليل الملاهي والاشتراك فيها اذا جاءت من نفسها من غير سعي اليها

هذا وقد عرفت عدداً من الرجال والنساء انهمكوا في الالعاب المعروفة اغتناماً للسرور فانهكوا قواهم وقطعوا حبل حياتهم بايديهم . وما من احد بيننا الاَّ ويعرف اناساً جدُّوا حتى احرزوا المال والجاه وهم متمتعون بالصحة والشباب ثم انهمكوا في الملاهي فحملوا اجسامهم فوق ما تحتمل فناءَ بهم الحمل

وربما كان اهمَّ الشروط اللازمة لاطالة العمر ان يكون الانسان رزيناً رابط الجأْش عند حلول المصايب وبعبارة اخرى ان دماثة الخلق خير الوسائط للتعمير . ولقد اصاب من عرَّف السماءَ بانها حالة يعرف المرءُ فيها ما يحتاج اليهِ ويستطيع ان يتمتع بهِ عند نيلهِ . فجهنم اذاً حالة لا يعرف المرءُ فيها ما يحتاج اليهِ ولا يستطيع التمتع بهِ ولو نالهُ

ومن اهم شروط اطالة العمر في الكهولة ان يعرف الانسان كيف يتولى قياد نفسهِ . وكلُّ عناية تبذل في هذه السبيل تنال جزاءً عاجلاً مهما صغر قدرها . خذ مسأَلة الطعام مثلاً فان الحكمة تقضي ان يمتنع الانسان في كهولتهِ وشيخوختهِ عن تناول مواد الطعام المهيجة التي يعتادها في زمن الشباب . ومن الامور التي تكاد تكون اولية في اطالة العمر انهُ كلما قللنا الطعام وقللنا الوانهُ كان ذلك أَدعى الى طول العمر . فان الشرط الرئيسي لحفظ الشباب والذي بفقدهِ تبتدئ الشيخوخة انما هو مرونة انسجة الجسم . ولحفظ تلك المرونة اشار بعض الاطباء بالامتناع عن الاطعمة التي تزيد رسوب املاح الجير (الكلس) في الانسجة وتقلل الابراز والافراز . وربما كانت آراءُ الشيوخ المعمَّرين مفيدة في الاهتداء الى انواع الطعام التي تفضي الى هذا الامر . ولكنَّ هناك اختلافاً في الامزجة بين الناس لا يصحُّ السكوت عنهُ . كما ان لطوائف البشر عادات مختلفة في المأْكل والمشرب فما يلائم طائفة قد لا يلائم الاخرى فلا يصحُّ ان تقاس هذه بتلك من جميع الوجوه ولكن المبادئ واحدة على الغالب

وهذه المبادئ هي تفضيل الخضر والاطعمة الشبيهة بالحيوانية على اللحوم . اما من جهة

الخبز فقد سمعت بعضهم يقول عنهُ انهُ اعظم ما يقلل المرونة من انسجة الجسم ولست اعلم مقدار ما في هذا القول من الصحة ولكني اعتقد انهُ قول جدير بالاهتمام والالتفات . وهناك مسألة المسكرات وما اذا كان شربها يجوز او لا يجوز من حيث اطالة العمر وعندي انها ضارةٌ وان كنت اعتقد انها محمودة في بعض الحالات المرضية

وقد اختلفت اقوال المعمرين في ما يجوز اكلهُ وما لا يجوز لاطالة العمر ولكن اقوالهم ظنون لا يركن اليها ولا يعوَّل عليها فقد اخبرتني سيدة كبرت وشاخت وهي في صحة العقل والجسد ان سيدة اخرى سألتها ذات يوم عن السبب في طول عمرها وتمتعها بالصحة فأجابتها مازحة ان اكل الملح هو السبب في ذلك فذهبت الامرأة من عندها وقد عقدت النية على ان تأكل من الملح ما استطاعت ولم تنتبه لما في كلام صاحبتها من الهزل

ولا يبرح عن البال ان كبر السن لفظ نسبيٌّ . فقد ابانت الاحصاءات ان الاعمار في القرون المتوسطة كانت اقصر مما هي عليهِ الآن . وقد بذلت المساعي الكثيرة في عهدنا وخصوصاً في الربع الاخير من القرن الماضي لاطالة الاعمار فجاءت بنتائج اعظم مما امَّل المؤملون

ومما يضعف الجسم ويتلف الصحة في الشيخوخة اهمال عضو من الاعضاء طرأ عليهِ ضعف في الشباب او الكهولة كالاذن والانف والحلق والعين والجهاز الهضمي . فقد أبان بعضهم ان كثيرين من كبار العلماء والمشاهير ذاقوا غصص الآلام وابتلوا بالامراض في شيخوختهم من اهمال امرعيونهم في شبيبتهم

وعيشة الخلاء شرط من الشروط اللازمة لاطالة العمر وخير ضامن للصحة . وخير للشيوخ ان يعجلوا في المنام ويبكروا في القيام . واغتنام ساعات الصبح الباكر يلائم جميع الناس على اختلاف اعمارهم ولكنهُ ضروري للشيوخ لانهم لا يحتاجون الى النوم الكثير الاَّ اذا وجدوا من نفوسهم ميلاً الى الاستزادة منهُ كما هو شعور معظم الشيوخ اذا آذنت شمس حياتهم بالمغيب . والقيلولة (نوم النهار) مفيدة منعشة لهم

هذا من جهة النوم واما من جهة اللباس فان الشيوخ يميلون الى تثقيل ملابسهم التحتانية لكي لا تتعرض بشرتهم للهواء وخصوصاً المجاري الهوائية . والسبب في ذلك بطء الدورة الدموية في سطح الجلد وضعف خلايا الجلد عن المقاومة وضعف القوة المكوّنة للدم كما ان للعادة علاقة بذلك لا تنكر فان سرعة تعرُّض الشيوخ للبرد عائدة في الاكثر الى العادة لا الى السن

***

مما يهمُّ ذكرهُ في هذا الصدد كيفية انحلال الجسم مقدمة للموت الذي لا مناص منهُ

بانحلال الاعضاء الرئيسة كالقلب والشرابين والرئتين والكليتين والجهاز الهضمي والدماغ

القلب

يطرأُ الكلال على قلب الانسان المتقدم في السن بسبب ضعف اعصابهِ وان كان صحيح الجسم فيصير النبض اسرع مما كان عليهِ في زمن الكهولة واقلَّ انتظاماً . ومن اكثر اعراض الشيخوخة ظهوراً قصر النفس عند اجهاد الجسم ومعظم السبب في ذلك ضعف الدورة الدموية والاعصاب التي تحرك الاوعية الدموية لا ضعف الرئتين فيصير القلب رخواً ليناً وانقباضهُ خفيفاً وليس في ذلك ما يوجب الخوف والقلق الاَّ اذا تفاقمت الحال فان ذلك يدل على تغير مهم فيجب ان يستشار الطبيب حينئذٍ . ومن العوارض التي تصيب الشيوخ وتولد فيهم الروع الشديد المٌ في الصدر يخيل لصاحبهِ ان منيتهُ حانت. وهذا الالم قد يصيب الشيخ فجأة بلا انذار سابق ولكنهُ يزول غالباً و يعود فيتجدد مراراً وقد يكون دليلاً على مرض مزمن في المصراع الفؤادي

الرئتان

اما التغيرات التي تطرأُ على رئتي الشيخ المسنّ فطبيعية لا علاقة لها بما يكون قد طرأ عليهما من الخلل سابقاً . والرئتان كالقلب عرضة لطوارئ تصيبهما فتضيق صدر صاحبهما . واهمُّ تلك الطوارئ الربو (الازما) وذات الرئة المزمنة والتهاب الشعب . اما ذات الرئة فداء ذو خطر في الشيوخ و يقال ان ذات الرئة الشعبية سبب معظم الامراض التي يموت بها الشيوخ او مصاحبة لها

اعضاء الهضم

تختل اعضاء الهضم احياناً ويبطل عملها على حين ان بقية اعضاء الجسم تبقى سليمة . واذا لم ينتبه لتقليل الطعام كانت النتيجة وبالاً على الدوام وقد قال الدكتور السر وليم طمسن ان سقوط الاسنان في الشيخ علامة على العودة الى طفولة ثانية فمن ثم يجب ان يكون نوع الطعام مما لا يحتاج فيهِ الى الاسنان في مضغهِ . ونصح للشيوخ ان لا يستعملوا الاسنان الاصطناعية خشية ان يتناولوا من الطعام ما لا طاقة لهم عليهِ . ولما كانت اعضاء الجهاز الهضمي في اوائل اعضاء الجسم التي يدبُّ الانحلال اليها وجب ان يكون طعام الشيوخ بسيطاً في نوعهِ فلا تحمَّل تلك الاعضاء فوق طوقها. فان العصارة المعدية والصفراء وعصارة البنكرياس والامعاء يقلُّ افرازها . واذا قلَّ افراز الصفراء تسلط القبض على الامعاء وتكونت حصى المرارة وتعطل عمل الامتصاص والتمثيل . ثم ان الكليتين وهما العضوان اللذان يفرزان سموم الجسم وفضوله الفاسدة تضعفان ايضاً فلا يجوز انها كهما بكثرة العمل الذي يطلب منهما ولا بصفتهِ

الدماغ

اما الدماغ فربما كانت آثار الشيخوخة والهرم اظهر فيهِ منها في غيرهِ فيكثر نزف الدم فيهِ وتلين مادَّتهُ وتتغير الحالة العقلية ويكون ذلك كلهُ مقدمة لتغيرات اعظم شأنًا واشدّ تأثيرًا

واوَّل الوظائف التي يؤَثر كبر السنّ فيها ويضعفها الوظائف التي لها العلاقة الكبرى بتجديد خلايا الجسم وترميمها وهي اربع الاولى مباشرة الخلايا للمواد الغذائية والثانية اخذ الخلايا لتلك المواد ويسمى التمثيل والثالثة التغيرات التي تطرأ على المواد الممثلة . والرابعة افراز المواد التي لم تمثَّل . ففي الشيخوخة يظهر التغير الاول في التمثيل فتقلُّ قوة الخلايا على تجديد نفسها وتقلُّ كمية المواد المهيأة لذلك التجديد وتضعف قوة الخلايا عن المقاومة فيفضي ذلك الى تصلب انسجة الجسم وخلاياهُ تصلبًا طبيعيًّا . ثم انهُ يصعب قذف الفضول المتجمعة بسبب التأكسد غير التام فيضر ذلك بتركيب انسجة الجسم .وزد على ما تقدَّم ان التغيرات الكيماوية تصير ابطأ مما كانت عليهِ فيتكون في الجسم سموم اكثر مما يستطيع افرازهُ وتنشأ عن ذلك امراض مختلفة كالنقرس وداء المفاصل واشباههما

هذا وان صحة المرء تجري مجراها الطبيعي ما دامت عناصر الجسم الاولية تفوق العناصر الثانوية في عملها ونشاطها . والعناصر الاولية هي الخلايا التي تفوق غيرها في اتمام وظائف الاعضاء والثانوية دونها في ذلك . ولما كان يتعذر تجديد تلك العناصر على النسبة اللازمة فان الخلل يتطرق الى الوظائف المذكورة وحينئذٍ يبدأ طور الانحلال او الشيخوخة

على ان الانحلال لا يسير سيرًا منتظما سواءٌ كان ذلك في الجسم نفسهِ او في احداعضائهِ لان العناصر التي يتألف منها لا تعيش عمرًا واحدًا وهي في تجدُّد مستمر فالكبيرة تموت وتندثر لتقوم الصغيرة مقامها . ومن المؤكد ان هذا التغير الذي يحدث لا يدوم على الحال المتقدمة بل يفضي الى تغير محسوس في حركة دقائق الجسم . وهذا التغير هو ما يسمى بالمرض

ومن الامور المشاهدة ان علامات الشيخوخة تبدو على بعض الناس قبلما تبدو على غيرهم ولا يرافق تلك العلامات انحطاط كثير بسبب قوة بنيتهم . وكما ان النمو التدريجي يوصل الى البلوغ والارتقاء فكذلك الشيخوخة توصل الى الموت بنقص القوى الحيوية شيئًا فشيئًا . فالموت اذًا وظيفة طبيعية وهو خالٍ من الالم عادة

هذا وان من العوارض التي تعتري الكهول والشيوخ كما تعتري غيرهم كثر السمن ولكن سمنَ الاحداث يختلف عن سمن المتقدمين في السن . فان سبب السمن في الاولين غالبًا حسن الهضم وقلة الافراز والابراز وعلاجهُ تقليل الطعام وتكثير الرياضة . واما السمن الذي

يعتري بعض المتقدمين في السمن وبعض الاحداث فلا علاج لهُ وكثيرًا مايفاجئ السمن النساء خصوصاً ويبلغ فيهن مبلغاً عظيماً حتى يضايقهن وينهك قواهن. فان كان يصحبهُ عارض من العوارض غير الطبيعية فيستصوب معالجتهُ والالتفات الى امر الطعام والرياضة. اما الذين ليسوا اقوياء كالمصابين بفقر الدم مثلاً فيجب ان ينظر فيما اذا كانوا مصابين بمرض وان يعالج مرضهم

واول ما يجب الانتباه لهُ في علاج هذا النوع من السمن ان يتولى الطبيب بنفسهِ علاج المصابين بهِ فانهُ اسلم عاقبة. فاذا كان القلب والدورة الدموية ضعيفين كما يحدث غالباً وجب اتخاذ التحوط اللازم لما عسى ان يطرأ. ومن الامور المسببة للخطر ان يتولى المصاب علاج نفسهِ بتعاطي العقاقير والادوية لما قد يعقب ذلك من الضرر الذي يتعذر تلافيهِ فيما بعد. ولكن لا اعتراض على تخفيف الطعام وزيادة الرياضة البدنية وجعلها منتظمة لتزيد المرونة في انسجة الجسم. ومن رأي احد كبار الاطباء انهُ وان كان القلب ضعيفاً والدورة الدموية مضطربة الا انهُ يمكن علاج ذلك بزيادة الرياضة البدنية زيادة مطردة. وخير رياضة يلجأ اليها التصعيد في الجبال وفائدة ذلك انهُ يساعد الجلد على افراز الرطوبة ويحرك التنفس على العمل اكثر من سائر الرياضات

غير ان علاج السمان المصابين بالانيميا (فقر الدم) يستلزم عناية اشد لان قلوبهم تكون شحمة والالياف العضلية فيها غير مرنة فيجب ان تمرَّن حتى تعود مرونتها اليها ويسهل الانقباض عليها. وصعود الدرج ونزولهُ يكفيان في بادئ الامر على شرط ان يكونا منتظمين وبسرعة معتدلة

ومن القواعد الجوهرية في هذا الصدد ان مدة العلاج لا تقاس بالاسابيع ولا بالشهور بل بالسنين. ولايضاح ذلك اقول انني كنت اعالج رجلاً مصاباً بالسمن عمرهُ ٦١ سنة وكان قد تعلم ركوب الدرَّاجة ولكنهُ رأى انهُ لا يستطيع مزاولتهُ كثيرًا لما كان يصحبهُ من عسر التنفس فنصحت لهُ ان يركب الدراجة على اطراد مدة قصيرة في الطرق المستوية. ففعل وبعد مضي عدة اشهر لم يبقَ يشعر بعسر التنفس. وبعد سنة صار يستطيع ركوب الدراجة طويلاً ولكنهُ كان يضطر ان ينزل عنها كلما استقبل منحدرًا سواءٌ كان كبيرًا او صغيرًا وبعد سنة اخرى صار يستطيع ركوبها في المنحدرات الصغيرة. وفي نهاية السنة الثامنة صار يركبها وهو لا يشعر باقل انزعاج. وفي نهاية الثالثة كان يركبها اي ان شاء مدة ساعات متوالية على شرط ان تكون الطرق سهلة. ولم يكد يظهر في السنتين الاوليين ان ثقلهُ قلَّ ولكنهُ قلَّ بعد ذلك قلة ظاهرة وقد بلغ السنة السادسة والسبعين من عمرهِ وهو يشعر انهُ اصغر مما هو عليهِ بعشرين سنة

ستأتي البقية

حكاية حال

(المقتطف . انسنا بلقاء شاعر دمشق العصري صاحب السعادة سليم بك عنجوري قدم العاصمة زائرًا واتحف المقتطف بهذه القصيدة عن حادثة جرت في احدى مدن سورية)

سرق اللصُ لاضطرارٍ وفقرٍ بعض مالٍ من جيْب رب الثراء
باحتيالٍ ودربة واحتراز كان منها اليفَ الفِ عناء
لبس الخوف وارتدى الرُعْبَ التي بيديهِ حياتهُ للبلاء
كل هذا التماس قوت عيالٍ ضاقَ منها بالتعس رحب الفضاء
يالحي الله خلَّة مذ المَّتَ دفعتهُ للخطة الشنعاء (١)
لا لعمري ما كان ذيَّاك لصًّا لو تربى من معشرٍ فضلاء
هذبوهُ واكسبوهُ نشاطًا واجتناب الاضرار والاسواء
علموهُ على النفوس اعتمادًا ينتج الجدَّ للغنى والنماء
ان جرثومة الرذائل فينا ولدت من تهامل الآباء

***

صبية بعضهم يسبق البعض هزالاً بفعل سوء الغذاء
وبنات مثل الملائك حُسْنًا عاريات يندبنَ حال الشقاء
حول أُمٍ تقرَّحت مقلتاها من دواهي الزمان والارزاء
تشتكي البرد لا كساء يقيها لذعة القرّ لا وقود اصطلاء
كم نهارٍ كم ليلةٍ قد قضتها بين نوحٍ وحسرةٍ وبكاء
ظلماتٌ صواعق وبروقٌ ورياحٌ تهبُّ فصلَ الشتاء
لا بساط ولا فراش وثيرٌ لا سراج ينيل بعض الضياء
شرفاتٌ بلا سدولٍ وسقفٌ دام بالوكف ممطرًا سيل ماء
عجز الزوج عن تعلُّم صنع فيهِ كسبٌ كسائر البلداء
صار لصًّا يرجو بذاك نجاةً من بلاء الاعسار واللأواء
راقب الصيرفيَّ بعد انصرافٍ وهو يمشي في السوق قرب العشاء
فدنا منهُ والفؤاد هلوعٌ في طريقٍ خلت من الرقباء
مدَّ كفًّا بخفَّةٍ نحو كيسٍ فيهِ الف من فضةٍ بيضاء

(١) الخلة الفقر ومنهُ المثل (الخلة تدعو الى السلة) اي الفقر والحاجة يدعوان الى السرقة

سلب المال ثم غادر يعدو   بين يأسٍ وخشيةٍ ورجاء
بلغ البيت بعد جهدٍ مُذيبٍ   آمنًا من سعاية الاعداء
بفؤاد يبغي الكفاف ليحيي   وضمير يخاف سخط السماء
وَلج الدار طافح الوجه بشرًا   حاسبًا نفسهُ من الاغنياء
افرَغ الكيس ضاحكًا بين ايدي   فتيةٍ يجهلون طعم الحساء [١]
فرح الكلُّ بالغنى بعد فقرٍ   ثم ناموا بغبطة وهناء

***

اشرف الجار بغتةً فوق سطح   مذ وعى الشر عاد كالحرباء
كم لئيم من مثل ذا يتزيي   زيّ اهل الوفاء وهو مرائي
يزرع الشر موضع الخير بغيًا   انما البغي دَيْدَن اللؤماء
راح يسعى بجارهِ دون نفع   لذوي الحكم تحت ستر الخفاء
قرع الباب شرطة بعد نصف الليل   هَبَّ النيامُ كالبلهاء
عاينوا الطرق غاصة بالوفٍ   يزعجون الآفاق بالضوضاء
خرجوا من بيوتهم دون ستر   غير ستر السماء في الظلماء
بعضهم بالزحام يسحق بعضاً   سائلين الشرطيَّ بالايماء
اي ويلٍ واي خطب دهانا   تلك حال الفضول في الجهلاء

***

امسكوا اللصَّ بعد ضرب وشتم   كبَّلوهُ ساقوهُ للايذاء
بين ندبٍ يفتت القلب حزنًا   وعويل الاولاد بعد النساء
ليس يدري ايقظة ام منامٌ   ما رأى من مصيبةٍ وبلاء
طرحوهُ في السجن بين مئاتٍ   من رجال زعانفٍ سفهاء
حرَّضوهُ على ارتكاب الدنايا   والمعاصي حتى بسفك الدماء
كان قبلاً يخاف سرقة مالٍ   اصبح اليوم اعظم الاشقياء
تلك حال السجون من الف عام   في بلاد الجهال والاغبياء

***

انما السجن زاجرٌ لذويهِ   عن فعال الطغام والارداء [٢]

(١) المائع من الاطعمة كالمرق ونحوهِ من الغذاء   (٢) الطغام اوباش الناس ورعاعهم

فيهِ علمٌ صنائعٌ واشتغالٌ يكسب المرءَ شيمة الادباء
محكم الوضع متقن الصنع زاهٍ صالح العيش جالب للهناء
فيهِ كتب تهذب الخلق قسرًا فيهِ طب يزيل اعضل داء
فيهِ قومٌ ليرشدوا كل غاوٍ بحديثٍ ذي حكمةٍ وجلاء
هكذا السجن في بلاد حباها مالكوها ذرائع الارتقاء (١)
لا كسجن حوى جحيم شرور فيهِ تنمو نقائصُ الادنياء

***

زوجة اللص بادرت بعد شهرٍ نحو مغنى رئيس رهط القضاء (٢)
حالَ دون اللقاء حجّابُ بابٍ نفحتهمْ (بليرةٍ) صفراء (٣)
ادخلوها مقصورة ذات عرش فوقهُ ماكرٌ كثير الدهاء
قبلت هدب ذيلهِ ثم خرّت فرماها بنظرة الكبرياء
سألتهُ فكاك زوج أثيم رحمة بالبنات والابناء
وحبتهُ بعض المئات نقودًا فاحتواها بغلظة وجفاء
قال هلاّ اقنعتِ بعض رفاقي فقوام الرؤوس بالاعضاء
خرجت تذرف الدموع غزارًا نحو عضوٍ يعزُّ بالفحشاء
رام منها لكي تنال رضاهُ ما اليهِ نشير بالايماء
هالها الامر اعولت ثم ولت دون جدوي من فاسد الحوباء

***

لزم السجن زوجها ورجال البغي فازوا بسؤدد وعلاء
واللصوص الكبار صاروا قضاةً واللصوص الصغار اهل الشقاء
سلبوا المال رشوةً واستباحوا العرض جهرًا وهم من العظماء
واذا قيل من لنيل المعالي قبل هذا وذاك دون امتراء
واذا عدّ معشر الفضل يومًا حسبوهم من افضل الاذكياء
أبهذا ومثل هذا صلاحٌ لا ورب الانباء والانبياء

سليم عنحوري

(١) راجع المقالة المثبتة في المقتطف (مجلد ١٣ : ص ٢٤٩) تحت عنوان سجن جديد في كاليفورنيا
(٢) المغنى المنزل والرهط الجماعة من الثلاثة الى العشرة (٣) الليرة في الاصطلاح الدينار

سل البقر وسل البشر

وتقرير اللجنة الانكليزية

لما خطب الدكتور كوخ خطبتهُ المشهورة في مؤتمر السل الذي عقد في مدينة لندن منذ ثلاث سنوات فرق فيها بين سل البقر وسل البشر قائلاً ان سل البشر يختلف عن سل البقر ولا يمكن نقلهُ اليها . وان انتقال السل من البقر الى البشر لا يمكن اثباتهُ بالامتحان واذا كان ممكناً فهو قليل جدًّا ليس اكثر من انتقال السل بالوراثة . الى ان قال "ولا احسب ان العدوى من اكل لحم البقر المصابة بالسل وشرب لبنها واكل الزبدة المصنوعة منهُ اكثر من العدوى بالوراثة ولذلك لا ارى موجباً للاهتمام بمقاومتها"

ولا يخفى ان اكثر علماء الطب خالفوا الدكتور كوخ حينئذٍ في انتقال عدوى السل من البقر الى البشر وعين الانكليز لجنة ملكية للبحث المدقق في هذا الموضوع وقام كثيرون من العلماء يبحثون وينقبون وفي جملتهم الاستاذ بهرنج الشهير تلميذ كوخ نخالف استاذهُ وقال ان اكثر اصابات السل ناتج عن عدوى الاطفال بلبن البقر المصابة بالسل

وكان غرض اللجنة المشار اليها البحث في الامور الثلاثة التالية وهي

الاول هل السل الذي يصيب الناس والذي يصيب البهائم نوع واحد

الثاني هل يعدى بهِ الناس والبهائم كلٌّ من الآخر اي تنتقل العدوى من الانسان الى الحيوان ومن الحيوان الى الانسان

الثالث اذا كان هذا الداء ينتقل من الحيوان الى الانسان في اي احوال ينتقل وما هي الامور التي تسهل انتقالهُ او تمنعهُ

فالامر الاول حققتهُ اللجنة على هذه الصورة : اخذت عشرين مستحضرًا من السل البشري من عشرين مسلولاً وطعمت بها اجسام البقر بادخالها الى قناتها الهضمية او بالتلقيح تحت جلدها واوصلت ميكروب السل البقري الى اجسام ابقار اخرى فسبعة طعوم من السل البشري احدثت السل الحاد في البقر التي طعمت بها حالاً وانتشر ميكروب السل في ابدانها والطعوم الباقية وهي ١٣ طعماً كانت نتيجتها اقل شدةً فانحصر التدرن حيث أُدخل الطعم او انتشر قليلاً حولهُ على مسير الغدد اللمفاوية وظهر قليل من ميكروب السل في الرئتين والطحال

والبقر التي طعمت بطعوم مأخوذة من بقر مسلولة ظهر السل في خمس منها وكان قويًّا جدًّا وظهر في البقية وكان ضعيفاً

والنتيجة ان البقر تعدى بداء السل على نسق واحدة من الشدة والضعف سواء كان لقاح السل من البشر او من البقر . وقد عجزت اللجنة عن اكتشاف ما يفرق بين سل البقر وسل البشر من هذا القبيل

هذه خلاصة تقرير اللجنة وفيهِ نقض صريح لما قالهُ كوخ من ان سل البشر لا ينتقل الى البقر مع انهُ قال انهُ جرَّب تجارب كثيرة ولابدَّ من ان يعيد البحث والتنقيب فيؤيد قولهُ او يذعن لقول غيرهِ

اما الامران الآخران وهما انتقال عدوى السل من البقر الى البشر والاحوال التي تنتقل فيها والامور التي تسهل هذا الانتقال او تمنعهُ فلم تحققهما اللجنة حتى الآن على ما يظهر

انسان الارض والسماء

من مقالة لتشارلس موريس نشرت في مجلة العلم العام الاميركية

في السماء عدد عديد من السيارات التي ترى والتي يتصور العقل وجودها حتى لا يكاد يصدَّق انها خالية من خلائق عاقلة شبيهة بالناس وان الارض وحدها خصت بسكن المخلوقات العاقلة دون غيرها من الاجرام السموية على حقارة الارض وصغر جرمها بالنسبة الى ذلك الفلك المدار الذي تحار فيهِ البصائر والابصار . ويحتمل ان تكون سيارتان او ثلاث من السيارات التي تدور حول الشمس صالحة لسكن الانسان كما يحتمل ان تكون الارض وحدها صالحة لسكنهِ دون غيرها. وكذلك ان تكون سيارات الشموس الاخرى مثل سيارات شمسنا اي ان يكون بعضها صالحاً لسكن المخلوقات العاقلة. ولما كانت السيارات التي يمكننا تصوُّرها كثيرة العدد فالمرجَّح ان السيارات التي تحوي مخلوقات عاقلة كثيرة أيضاً . ومما يرجح وجود المخلوقات العاقلة في غير الارض من كواكب السماء ان الكوكب الوحيد الذي نعلم احوالهُ وهو الارض مسكون بها ولا يعترض على ذلك الاَّ بان وجود الانسان على وجه الارض محصور في زمن قصير لانهُ لا يعيش فيها الاَّ حينما تكون حرارتها على الدرجة التي هي فيها الآن وهي لا تكون كذلك الاَّ في زمن قصير من عمرها

ومما لهُ علاقة بالموجودات العاقلة شكلها الطبيعي أهي شبيهة بالانسان اينما وجدت ام كلُّ سيارة من السيارات تحوي اشكالاً وانواعاً خاصة بها تجمعها جامعة الفكر والادراك . فمؤلفو الروايات افترضوا الامر الاخير في رواياتهم التي كتبوها عن الزهرة والمريخ وغيرهما من

السيارات والسكان الذين زعموا وجودهم فيها . ولكن النظر في الانواع الحية التي ظهرت على وجه هذه الارض يؤيد الرأي الاول وهوان الخلائق العاقلة يجب ان تشبه الانسان جسماً وعقلاً حيث وجدت وأيان نشأت وعليهِ يستنتج انهُ اذا أُتيح للانسان ان يجوّل في عرض هذا الفضاء الواسع رأى مخلوقات تشبههُ في اطراف الكون النائية

وشروط الحياة على الارض قد لا توجد في غيرها من السيارات . فان درجة الحرارة التي تصلح للحياة هنا هي بين درجة الجليد ودرجة الغليان وهناك شروط لازمة ايضاً للحياة مثل نوع التربة والهواء والعمل الكيماوي وغيرها . وليس ثمت ما يثبت ان الشروط اللازمة للحياة على الارض لازمة في كل مكان آخر . اذ لا يبعد ان يوجد في السيارات الاخرى مخلوقات حية ولو اختلفت احوال الحرارة والجاذبية والعمل الكيماوي فيها عما هي عليهِ في الارض . نعم انهُ اذا كانت العناصر الكيماوية واحدة في جميع الاجرام السموية كما يظهر بالتحليل الطيفي لم تختلف شروط الحياة اختلافاً عظيماً فيها ولكن اذا كانت العناصر التي هي اكثر وجوداً واعظم فعلاً في جرم من الاجرام تختلف عما هي عليهِ في الارض لم يبعد ان تختلف شروط الحياة فيهِ باختلاف تلك العناصر وتوجد المخلوقات الحية حيث يوجد عمل كيماوي وحرارة غير معروفين عندنا . والامر الضروري في كل حال من احوال الحياة وسط يلائم بناء الجسم الحي

على ان هذه الامور كلها لا علاقة ضرورية لها بمسألة صور الحيوانات واشكالها . فاذا استطاع الانسان ان يعيش في سيارة من السيارات درجة حرارتها الف بميزان فارنهيت بدلاً من مئة وكان جسمهُ مركباً من بروتوبلازم يختلف في تركيبهِ الكيماوي عن البروتوبلازم الذي يتركب منهُ انسان هذه الارض لم يبعد ان يشابهنا جداً في صورتهِ وطرق عملهِ لان اشكال الحيوانات الخارجية تتبع الاحوال الطبيعية لا الكيماوية وهي في الاكثر نتيجة تنازع الحيوانات على البقاء وما تبذلهُ من الجهد للحصول على صورة اكثر ملاءمة لهذا الجهاد المستمرّ . هذه هي الحال حيثما تظهر الحياة وترتقي واينما توجد الحرارة او العناصر الكيماوية الفعالة . وكذلك يقال عن التغير الداخلي ففي كلّ طور من اطوار الحياة المتقدمة نرى ان الحركة الحيوانية نتيجة التغير الكيماوي الناشئ عن عمل يشبه تأكسد الانسجة . ولا بدّ من وجود وسائط فعالة لتقديم الغذاء الجديد الى الانسجة المندثرة مثل اعصاب الحس وعضلات الحركة واعضاء الافراز والتجديد وسائر الاعضاء الآلية التي تشبه ما يوجد في اجسامنا

هذا ولما كانت ارضنا لا تكاد تذكر في جنب السيارات الاخرى سواء كان ذلك من جهة جرمها او من جهة قدمها فقد يسوقنا هذا الامر الى الحط من قدرها وتنزيل ارتقاء الحياة

فيها دون منزلتهِ الحقيقية · فان ارتقاء الحياة فيها عمل كبير في حدّ نفسهِ وان ظهر صغيرًا وانتهاؤُه بالانسان لا يصحّ ان يعدّ عملاً من اعمال الصدفة بل هو نتيجة لازمة عن تغيرات متنوعة · وقد بدأَت مظاهر الحياة وصورها على الارض منذ ملايين كثيرة من السنين فكانت الاحياء الاولى بقعًا مكرسكوبية هلامية ثم ارتقت تدريجًا حتى انتهت بالانسان · ومثل هذا جرى في كل سيارة ظهر عليها مخلوقات عاقلة — بدأَت الاحياء فيها بصورٍ بسيطة دنيئة ثم ارتقت شيئًا فشيئًا وقد تكون نهاية ذلك الارتقاء هناك مختلفة عما هي عندنا وان يكن لدينا اسباب تحمل على الاعتقاد انها تشبه ما هو عندنا كلَّ الشبه

ونتيجة الارتقاء الآلي تتوقف كثيرًا على العلائق الخارجية او الوسط وعلى علاقة المواد الآلية بالاحوال الكيماوية التي في ذلك الوسط · فان الماء والهواء وتاكسد المواد الآلية شروط لازمة لوجود النبات والحيوان وقد كانت كذلك منذ ظهرت الحياة على سطح الارض · واما فيما سوى ذلك فقد تغيَّر الوسط كثيرًا · فقد كان في بادىء الامر طبيعيًا فصار فيما بعد حيويًا وكانت المخلوقات الآلية تقاوم العناصر غير الآلية في جهادها لاجل الحياة فظلَّت فيما بعد تقاومها واخذت تقاوم بعضها بعضًا ايضًا · وكلما كانت صور الحياة تزداد تنوعًا ووظائفها تعددًا كان الوسط يجاريها على ذلك · فصارت نتائج الحرارة والبرد وثوران العناصر الطبيعية وسكونها والمآكل السامة والمغذية وغيرها من العوامل غير الآلية اسبابًا ثانوية للارتقاء بالنسبة الى تنازع الاجسام الحية على الغذاء تنازعًا شديدًا . واعظم عوامل الانتخاب في الارتقاء الآلي زيادة طلب الحيوانات للحوم وما ترتب على ذلك من ظهور وسائط النجاة او الدفاع في الحيوانات الضعيفة . وهذا العامل هو السبب الاعظم في تعدد الانواع المرتقية التي نراها الآن . ولم يقتصر هذا النزاع على مهاجمة الحيوانات القوية للضعيفة بل ان الاحياء الدنيا تهاجم الاحياء العليا وتعتدي عليها فان اشد اعداء الانسان الآلية باسًا واصعبها مراسًا واعظمها خطرًا انما هي المكروبات المسببة للامراض وهي ادنى اشكال الاحياء

***

لو حاولنا مراجعة سير النشوء الآلي على الارض لوجدنا امامنا اشكالاً حيوية متعددة ومختلفة في طرق عملها ودرجة حيويتها حتى نرى مجال البحث يضيق عن استيفائها فنكتفي بالالماع اليها

مرَّ على النشوء الآلي زمن طويل كانت الاحياء في بداءتهِ تتألف من خلية واحدة وتلا ذلك احياء تتألف كل منها من عدة خلايا · وتفرع عن ذلك مملكتان آليتان عظيمتان وهما

المملكة النباتية والمملكة الحيوانية والاولى ذات اشكال ساكنة تعيش على المواد غير الآلية. والثانية ذات اشكال متحركة تعيش على المواد الآلية وهي مقدمة على الاولى . ولم يكن للعوامل غير الآلية سوى شأن قليل في ارتقاء المملكة النباتية فان اشكال النبات العائشة تحت الماء قلما ارتقت لانها قليلة التعرض لغارات الحيوان واما العائشة على وجه الارض حيث هجمات الحيوان شديدة متنوعة فقد كان ارتقاء اشكالها عظيماً ولكنهُ لم ينتقل في حال من الاحوال من طور طبيعي محض الى طور حسي

ومن هنا ابتدأ عمل الانتخاب الطبيعي فان الانواع اخذت تتعدد وتتشكل حتى فاقت العد والحصر وكلٌّ منها يكيف نفسهُ على حسب الوسط الذي يحيط بهِ . وانقسمت الى قسمين قسم منها ساكن لا يتحرك من موضعهِ بل كلٌّ ما يتحرك منهُ اطراف او قرون يتخذها سلاحاً للهجوم والدفاع . وقسم آخر متحرك واصلح للارتقاء الطبيعي والعقلي لان حركتهُ تسهل عليهِ الانتقال من وسط الى آخر . وكلما كان الحيوان نشيطاً تنوعت قوى انتقالهِ وقويت اعضاء حسهِ وصار ارقى درجة في سلم الحياة واكثر قبولاً للتقدم والارتقاء ولا بدَّ من ان تكون هذه القاعدة شائعة في الكون كلهِ كما هي في الارض

وما قيل في الحيوانات الساكنة من حيث قلة قبولها للارتقاء بالنسبة الى الحيوانات المتحركة يقال في الحيوانات البطيئة الحركة . فكلٌّ ما يمنع سرعة الحركة وتعددها يقف في سبيل الارتقاء . وعليهِ فان سرعة الحركة لازمة لقوى الحيوان في الهجوم وعلى هذه القوى تتوقف درجات الارتقاء العليا ولكن اشكالاً كثيرة من الحيوان اتخذت الدفاع بدل الهجوم واخصها ذوات الاصداف ويضاف اليها الحيوانات التي تختبئ من غيرها اما بالحفر في الارض او بوسائط اخرى. وهذه الحيوانات بطيئة الحركة ضرورة اما لثقل اصدافها او لاعتيادها الاختباء فراراً من الحيوانات التي تسطو عليها . وهي تعيش على ما تجدهُ امامها من الطعام . والوسط المحيط بها محدود واتصالها بالطبيعة قليل وقوى الحس والشعور فيها قاصرة

على انهُ ان كانت سرعة حركة الحيوان وليونة بدنهِ مفيدة لهُ فالحيوانات السبوحة اسهل حركة والين بدناً من الزحافات وكذلك الحيوانات العارية من الاصداف تفضل ذوات الاصداف من هذا القبيل . ومثلها الحيوانات التي تقلّ اعضاؤُها عدداً وتكثر قوة وهذا يوصلنا الى ذوات الفقرات وهي اسمى انواع الحيوانات التي ظهرت في مياه الارض وتراها بيضية الشكل واعضاء حركتها اقوى من اعضاء الحركة في سائر انواع الحيوان واعضاؤُها الحيوية مفردة بسيطة على قدر الامكان وهيكلها داخلي لا خارجي ووظيفتهُ ان يدعم بدن الحيوان لا

ان يقوم مقام الدرع لهُ كما في ذوات الاصداف

والحيوانات المائية اصل الحيوانات البرية ولم يمكن ظهور الاحياء على اليابسة رأساً لانها غير صالحة لها في اطوارها الاولى بل لم يكن هناك بدٌّ من ظهورها في الماء اولاً فمنها ما بقي في الماء ومنها ما تفرعت منهُ فروع عاشت في اليابسة كذوات الاصداف والدود والحشرات وذوات الفقرات . فالصنفان الاخيران طاب لهما المقام على اليابسة فعاشا فيها واينعا ولكن الاول منهما كان دون الثاني تركيباً فلم يقوَ على مزاحمتهِ. وارقى انواعهِ النحلة والنملة . ومع ماهناك من التغير العظيم الذي طرأ على ذوات الفقرات فاختلفت بهِ عن الاسماك الاّ أن اوجه الاختلاف بين الفريقين ليست كثيرة واهمها تحول الزعانف الى اعضاء والخياشم الى رئات . ولكن لا يزال هناك انواع من السمك تتنفس الهواء احياناً ولها اربعة اطراف تجذف بها

وحيوانات البر اكثر تعرضاً للطوارئ الطبيعية من حيوانات البحر . ومع ان اشكالاً كثيرة مختلفة ظهرت الاّ ان اساسها واحد ومرجعها الى شكل واحد اصلي وهو شكل السمك ولكن اعضاءها الداخلية اكثر حركة واشدُّ فعلاً والدم الحار فيها يحلُّ محلَّ الدم البارد في السمك وهي ولود والسمك بيوض وغير ذلك من التغيرات الداخلية . ثم ان التغيرات الخارجية كثيرة فمنها حيوانات تعدو واُخرى تطير واُخرى تسبح وغيرها تزحف . ومنها مايغطي بدنهُ فلوس او شعر او ريش اودروع . هذا بدنياً واما عقلياً فان ذوات الفقرات العليا التي تعيش على اليابسة ارقى كثيراً من حيوانات البحر العليا ولكن قوة الفكر فيها خامدة وليس ثمة مايدلُّ على ان ذوات الاربع ترتقي في الفكر عن حدٍّ محدود

فاذا كانت هذه هي الحال في الارض فالمرجح انها كذلك في سائر الكواكب ولكن تغير الاحوال الكيماوية والطبيعية في الكواكب قد يغير النتيجة وان كان لا يغير مبادئ العمل العمومية لان ارتقاء اعضاء الحيوانات يسير في منهاج واحد وكذلك الشكل الخارجي فان تنازع البقاء يسير في خطة واحدة ويفضي الى نتيجة واحدة على مايرجح

فلنأخذ رأس حيوان من ذوات الاربع مثلاً ولننظر الى سهولة حركتهِ وآلات مضغهِ وحواسهِ ومركز اعصابهِ ولنسأل هل يستطيع احد ان يشير بادخال اصلاح في وضع تلك الاعضاء وهو الوضع الذي تُوُصّل اليهِ بعد ملايين من التجارب فان المنخرين موضوعان فوق الفم في احسن مكان ليستدل صاحبهما بهما على الطعام من رائحتهِ . والعينين موضوعتان في اعلى الرأس الى الامام وهو احسن مكان تقضيان منهُ وظيفتهما . والاذنين موضوعتان بحيث تدخلهما امواج الصوت من الخلف والامام وخصوصاً من الامام . والدماغ مجاور لهذه

الاعضاء ليساعدها على الاسراع في اتمام عملها . وكلٌّ اعضاء الرأس مرتبة بحيث تتم وظائفها الخصوصية واذا قابلناها باعضاء الحيوانات الدنيا رأينا بين الفريقين اختلافاً عظيماً في حسن الترتيب والتركيب مما ادت اليهِ التجارب الطبيعية الكثيرة . ومثل هذا القول يصحُّ في اقسام الجسم الاخرى داخلية كانت او خارجية

على ان ذلك كلهُ لم يوصلنا الى الحيوان العاقل اي الحيوان الذي يعتمد في الغالب على قواهُ العقلية دون الطبيعية . نعم ان كلَّ صنف من اصناف الحيوانات المتقدمة ارتقى بعض الارتقاء في القوى العقلية وخصوصاً ذوات الثدي ولكن ارتقاءها انتهى عند درجة واطئة وهذا واضح من مقابلة حيوان من ذوات الاربع بالانسان فان الاول يعتمد على قوتهِ البدنية في الغالب والثاني على قوتهِ العقلية . اما الكواكب فلا بدَّ من ارتقاء ما فيها من الحيوان الى ما فوق ذوات الاربع لبلوغ النتيجة المتقدمة — اي حتى يكون فيها حيوان عاقل . ففي الارض انتهى الارتقاء بالانسان افلا يكون ذلك الارتقاء مختلفاً في السيارات الاخرى التي انتهى فيها بمخلوقات عاقلة تختلف عن انساننا في شكلها وعلاقة اعضائها بعضها ببعض

والجواب عن هذا السؤَال يتوقف على الصفات الخصوصية التي تميز الانسان عن سائر الحيوان اينما وجد . اما الفرق الطبيعي بينهُ وبين الحيوانات التي هي ادنى منهُ فليس عظيماً واهمهُ انتصاب قامتهِ وكونهُ يمشي على قائمتين بدل اربع وقدرتهُ على مسك الاشياء بيديهِ . على ان في هذا الفرق الطبيعي الذي بينهُ وبين سائر الحيوان سرَّ ما بينهما من الاختلاف العقلي . فان الحيوانات التي تحت الانسان تعتمد على اعضائها دون غيرها لانها لا تستطيع ان تستخدم الاشياء الطبيعية لمساعدتها . ولا يخرج عن هذا الاَّ الفيل والقرد فان الاول يدير خرطومهُ كيف شاء والثاني يطبق كفهُ بعض الاطباق مثل الانسان . اما الانسان فانهُ استطاع بتحرر ذراعيهِ من حمل جسمهِ والانتقال عليهما من مكان الى مكان وتطبيق كفيهِ ان يستخدم بهما قوى الطبيعة ويصنع سلاحاً وآلات من الجماد فصار بذلك حلقة جديدة من حلقات الارتقاء لم يبلغها غيرهُ من انواع الحيوان

ثم ان استخدام الآلات والاسلحة غير التي جهزت الطبيعة جسمهُ بها يستلزم تمرين القوى العقلية فشرع يروض عقلهُ . واستمرَّ ذلك كذلك حتى انتهت الحال بالانسان كما هو الآن — اي صار كائناً يتسلط عقلهُ على اعمال جسمهِ وعلى سائر المخلوقات الارضية

فلو فرضنا ان حيوانات تشبه ذوات الاربع التي عندنا في تركيبها العمومي ظهرت في سيارات اخرى وان كائناً عاقلاً يشبه الانسان ظهر في احداها فمن الصعب ان يتصور العقل

انهُ ارتقى بطريقة مختلفة كثيرًا عن الطريقة التي ارتقى انساننا بها اي ان ارتقاء الحيوانات العاقلة في ايّ كان من السيارات لا بد ان يكون قد توقف على استخدام قوى الطبيعة واول خطوة الى ذلك ظهور حيوان منتصب ولهُ ذراعان وكفان مثل الانسان

وعليهِ فالدلائل كثيرة على ان الحيوانات العاقلة التي في السيارات تشبه الانسان في شكلها الطبيعي وقد تختلف عنهُ في بعض الامور الجزئية وتكون سليمة من الضعف الآلي المختص بالانسان ولكن يظهر انهُ لو استطاع انسان الخروج من هذه الارض والتجوال في اقصاء الكون الشاسعة لرأى مخلوقات تشبههُ وترحب بقدومهِ في الوف من كواكب السماء

تمثال الدكتور بلس

(المقتطف تعريب الخطبة التي خطبها نسيم افندي برباري مندوب اللجنة في الاحتفال برفع الستار عن تمثال الدكتور بلس)

ان انتدابي للنيابة عن متخرجي الكلية المقيمين في مصر والسودان في هذا الاحتفال لاعظم شرف نلتهُ الى الآن فقد جمعتنا في هذا المكان جامعة الاخلاص والاحترام لتقديم واجب الاكرام والشكر الى رجل وقف عمرهُ على انبل المقاصد — ألا وهو تقدُّم نوع الانسان. وعملنا هذا واجب مقدَّس ينبه قضاؤُهُ فينا شوقًا الى اسمى الغايات لانهُ يضع نصب اعيننا صفحة عريضة تتضمن اعمالاً عظيمة وفوزًا مبينًا في جانب المروءة والمدنية. وهذه الصفحة هي واحدة من الصفحات القليلة التي تفتخر بها الامم في كلّ زمان ومكان

وليس قصدي الآن ان اتكلَّم في تأسيس الدكتور بلس لهذا المعهد العلمي فان تاريخ اتعابهِ في الخمسين سنة الماضية وغيرتهُ على انجاز مشروعاتهِ وحسن معاملتهِ للذين حولهُ وثباتهُ وبعد نظرهِ في اعمالهِ — كلُّها اشهر من ان تذكر. ولكن اذ اقف اليوم بين مناظر الفتها في صباي وفي ظلّ البرج الذي تدق الساعة منهُ الآن كما كانت تدق في الماضي أعود بعين الخيال الى الايام التي كنت فيها تلميذًا فيتمثل الدكتور بلس لي مشيرًا صالحًا وصديقًا صدوقًا وابًا حنونًا لا رئيسًا رهيبًا في يدهِ مقاليد الكلية وزمام امورها. هذه هي الصورة التي احب ان اتذكر الدكتور بلس بها لا كما يراهُ الخارجون عن المدرسة بل كما تراهُ عائلتهُ الكبيرة التي نحن اعضاؤُها. وما اكثر التذكارات البهجة التي تتبع ذلك. قال الاسكندر "اني مديون لأبي بوجودي ولاستاذي بنجاحي" وهذا صدى ما يقولهُ كلٌّ من ساقهُ حسن الحظ فقضى

ربيع عمرهِ في هذا المكان . فان كثيرين منا لم يدركوا اسرار العلوم الرياضية وغيرهم نسوا مبادئ العلوم الطبيعية وسط مشاغل الحياة ولكن وان كنا قد نسينا الطبيعيات والرياضيات افننسى تعاليم الكتاب المقدس التي أُوضحت لنا بها الحقائق العظيمة الاساسية المختصة بوجودنا وغايتنا من هذا الوجود على طريقة لاينكرها اهل الشك والجحود . أَو ننسى الخطب التي أُلقيت علينا في "سنَّة المحبة والمحبة سنة" وبسطت فيها واجباتنا نحو انفسنا وقريبنا وخالقنا . بل أَننسى المواعظ والخطب المملوءة بالنصائح لارشادنا في سلوكنا وتشجيعنا في ساعة التجربة . أَم ننسى نصائح الوداع التي كانت تتلى علينا قبل تفرقنا في آخر السنة وخروجنا من الميناء لنخوض بحر هذا العالم الكبير

نعم ايها الاصدقاء ان هفوات تلك الايام ومساوئها لها تذكارات حلوة عندنا لانها كانت السبب في تلك الارشادات التي كان الحبُّ والحنوُّ الوالدي يمليانها علينا غيرة على خيرنا ورفاهنا وفي نظرات الاسف والشفقة التي كانت تحملنا على الاعتراف بذنوبنا وتصبغ وجوهنا بحمرة الخجل وفي كلمات التوبيخ التي ساعدتنا على تهذيب اخلاقنا وتأْهيلنا لما وراء الحياة . فلا عجب وعواصف الشك تثور علينا وامواج التجربة تتقاذفنا في يمّ هذه الحياة العجاج اذا فكرنا في تلك الكلمات كلمات الرجاء والسرور وتطلعنا بعين الحب الى الوراء حيث الميناء الامين الذي اقلعنا منهُ بعد ان قضينا فيهِ ايام الشباب السعيدة بعيدين عن هموم هذا العالم ومشاغلهِ

هذا وان عمل الدكتور بلس الاعظم لم يكن انشاء ابنية فاخرة ولاتهذيب الالوف الذين خرجوا منها تهذيباً علمياً . وليس السبب الوحيد في نجاحهِ تعليمهُ ووعظهُ . بل ان عملهُ الاعظم اشراب عقول التلامذة المبادئ الصحيحة وارشاد ارجلهم الى حيث يأْمنون العثار والزلل في زمن الشباب وتهذيب نفوسهم وتربية روح الرجولية والاستقلال فيها . وسبب نجاحهِ الاعظم المثال الشريف الذي وضعهُ امامهم. فان لطفهُ وحسن استجلابهِ للناس قرَّباهُ من القلوب . وقوة ارادتهِ ونشاطهُ اظهراهُ بمظهر رجل حرّ قوي ساعٍ في طلب الحق والتدرع بهِ وادعيتهُ الحارة الى الله بحفظ الذين نالوا شهادة المدرسة والذين يتعلمون فيها كانت تمسُّ قلوب سامعيهِ وتأْخذ بمجامعها . و بالاختصار فقد كان لنا "رسائل حية معروفة ومقروءَة من جميع الناس"

نعم ايها السادة والسيدات كلنا صائر الى الزوال . وهذه الابنية تتغير على كرور الايام ولكن عمل الدكتور بلس الخالد يبقى مطبوعاً على نفوس اهل هذه البلاد واخلاقهم الى الابد بعد ان نسير نحن في اثر الذين سبقونا ويحلُّ محل هذه المباني مبانٍ اخرى

على ان ذكر حياة الدكتور بلس لايتمُّ الاَّ اذا ذكرت معهُ تلك السيدة الفاضلة التي كانت

شريكة عمرهِ ومدبرة امور بيتهِ ومشيرهُ ومعينهُ· ولا يفوق دَيْننا لها الاَّ ديننا لقرينها. أَليس حسن مشورتها وعظم مساعدتها وشدة غيرتها هي الامور التي مكنتهُ من انجاز ما انجز من الاعمال· أَو ليست امَّ ابنهِ وخلفهِ. أَوليس حسن تربيتها لابنها وتعليمهِ في اوائل عمرهِ هو الذي أَهَّلهُ للارتقاء الى المنصب السامي الذى خلا بتنازل ابيهِ عنهُ. فقد كانت مسز بلس للتلامذة صديقًا وملاكًا حارسًا وامَّا فعلت نصائحها وتعاليمها وصداقتها مالم يفعلهُ شيءٌ آخر لتنبيه العواطف الشريفة في الصدور· وصفوف مدرسة الاحد التي كانت تعلمها واستقبالاتها والدقائق الثمينة التي قضيناها في حضرتها كانت اشعة منيرة تنير العيشة المدرسية وتبث الحرارة فيها وذكرها الآن يهيج فينا تذكارات بهجة عن الايام الماضية التي قضيناها هنا

فيحق للدكتور بلس وقرينتهِ ان يفتخرا بنتيجة اتعابهما ونموّ هذا الولد الذي وقفا عليهِ حياتهما ومواهبهما واختبارهما· وليقيض لهما الله الافتخار بالرجال الذين رباهم واهدياهم الى العالم· فان كان بناة الآثار القديمة قد حاولوا تخليد اسمائهم ببناء الاهرام والهياكل فأَحرِ بالدكتور بلس وقرينتهِ ان يخلدا اسميهما باقامة آثار هي اشرف بنيانًا واخلد زمانًا أَلا وهي اهرام يذخر العلم والمعرفة فيها وهياكل يعبد الله منها . قال الشاعر

" ان الهياكل المبنية من الخشب والحجر تخرب وتضمحلُّ ولكنَّ هناك بناءً غير منظور لا يخرب ولا تراهُ الاَّ الاعين الخالدة كاملاً في جميع اجزائهِ أَلا وهو البناء المبني من حجارة حية — هيكل القلوب "

هذا وان قلوب نائلي شهادة المدرسة الذين انوب عنهم تفيض الآن شكرًا لله ودعاءً حارًّا بدوام الهناء للدكتور بلس وقرينتهِ والخير للمدرسة. فليعش الدكتور بلس وقرينتهُ طويلاً حتى يريا نمو عملهما نموًّا مستمرًّا سنة فسنة ولتثبت المدرسة الى الابد اثرًا يدلُّ على حياتهما المفيدة . ولتبقَ ركنًا للتهذيب والتثقيف ومنارة تنير ظلمات العالم ويأْتمُّ بها الهداة الذين اضناهم التعب وانهكتهم مشقات الاسفار . وهيكلاً تحفظ فيهِ اسرار الحكمة والفهم المقدسة ومزارًا يحجهُ طالبو الحق · وليقدر الله لها ان لا يكسف ماضيها السني الاَّ مستقبل اسنى مجدًا واعظم بهاءً

فياحضرات الرئيس وعمدة المدرسة · اني اقدم اليكم هذا التمثال الذي نصبناهُ للدكتور بلس لتحفظوهُ دليلاً على اعترافنا بالدَّين العظيم الذي لا نستطيع ايفاءهُ وتذكارًا لحياة الذي كرَّس نفسهُ لتهذيب نفوس الآخرين ولما بذلهُ من الاتعاب في ذلك السبيل. واننا نريد ان يقام في هذه المدرسة حيث يراهُ الجميع — يراهُ المعلمون فيستفيدون بقدوتهِ و يتبعون خطواتهِ

ويقتفون اثرهُ . ويراهُ التلامذة عند دخولهم الى هذا المكان فيشاهدون فيهِ شبهاً لمؤسسهِ العظيم . ويخرجون منهُ وفي نفوسهم اثر من العمل العظيم الذي عملهُ . ويراهُ الجمهور فيتمثلون صورة العامل العظيم الذي لهُ اليد الطولى في احياء العلم في الشرق . واخيرًا ليقدرنا الله نحن تلامذة هذه المدرسة الذين خرجوا منها في الماضي والذين يتعلمون فيها الآن وسيتعلمون في مستقبل الزمان — ان نكون اثرًا حيًّا لعمل الدكتور بلس في هذه البلاد اثرًا اعظم شأناً واسمى منزلة واخلد مدة . انتهى

(ويوم نصب التمثال احيت المدرسة الكلية ليلة ادبية في منتداها الكبير تكلم فيها بعض الطلبة بالنيابة عن اقسام المدرسة الخمسة وفي جملتهم حضرة فؤاد افندي خليل سالم فتلا القصيدة التالية نائباً عن قسم الصيدلة)

بلادَ الشآم مقرَّ الكرامْ سلام عليك والف سلامْ
فقد كنتِ مطلع شمس العلوم وقد كنتِ مطلع شمس العظام
وقد كنتِ مهبط اهل اليراعِ وقد كنت مهبط اهل الحسام
وقد كنت زينة تلك القصور وقد كنتِ مصباحَ ذاك الظلام
وقد كنت للناس خير مقامٍ وسوف تكونين خير مقام
بلاديَ ماذا اقول وإني ليرتج فيك عليَّ الكلام
اراقبُ خلف العصور سماكِ سماءً تلبَّد فيها القتام
فانظرُ بدرًا يُنيرُ السبيل ونجماً يسير بحكم النظام
وانظر شمساً تطلُّ صباحاً يقابلها الوردُ بالابتسام
فيمضي زمان ويأتي زمانٌ وفيهِ تحجَّبُ تحت الغمام
فيا ارز لبنان يا بعلبك ويا دار كلِّ عليِّ المقام
ويا ارض تدمرَ يا ارض صور ويا ارض بغداد دار السلام
ويا ارض عيسى ويا ارض موسى ويا ارض نوحَ ويا ارض حام
ويا ارض كانت مقر القصور فصارت لِتُضربَ فيها الخيام
احييك بالقلب قبل اللسانِ واجثو لديك بكلِّ احترام
وأكرمُ كلَّ كريمٍ يغار عليكِ كذلك تجزى الكرام
وألعنُ كل لئيم يريد اذاكِ كذلك تجزى اللئام
أكليَّةً ما خطت خطوةً بهذي البلادِ لغيرِ الأمام

عليك وقفنا القلوب قلوبًا احبتكِ كالامّ منذ العظام
تغارُ عليك وتسعى لديكِ وتنشر فضلكِ بين الأَنام
وتذكرك الدهر بالاحترام وتدفع عنكِ شرور الطغام
فلولاكِ لم ندرِ معنى الاخاء ولولاك لم ندرِ معنى الوئام
ولولاك ما حركت ساكنًا رجال اتت بالأُمور الجسام
رأيناك تجرين مجرى الدماء لقلبِ الأَنام وقلبِ الشآم
فيمسي اصفرار الوجوه احمرارًا وينعش جسمٌ عراهُ السقام

***

فيا رجلاً شاد هذا المقام وشيَّدَ فيهِ الصروح الضخام
وعلمَ انَّ الحياةَ جهادٌ وقالَ أَلا استيقظوا يا نيام
بماذا نجازيك يا دانيالُ وفضلك يزداد عامًا فعام
تنزَّهت عن كلِّ عيبٍ وفيك صفاتٌ تفوح كريح الخزام
فانتَ الغيور وانتَ الصبورُ وانت الجسور وانت الهمام
وانت الكريمُ وانت الحليمُ وانت الحكيم وانت الإِمام
فيا قاطني مصر ابناءهُ ويا قاطني ما وراء الأَكام
أقمتمُ ياقوم أَجمل ذكرٍ بتمثالكم فهو ما دامَ دام
فعش ناعمَ البال يامن سعيتَ وقمت بسعيك حقَّ القيام
فتمثالك الحيُّ ينطق عما فعلتَ وإن كان صنع الرخام

التنبيه والحس في النبات

من قلم الدكتور رينلدس جرين عضو الجمعية الملكية الانكليزية

اذا نظرنا في صور النباتات وتراكيبها المتعددة وطلبنا معرفة الاسباب التي افضت الى هذا التعدد والاختلاف اتضح لنا ان المسألة مسألة نزاع واضطرار نتيجتهما التوفيق بين النبات والوسط الذي هو فيهِ فيستفيد النبات من كل ما يقدمهُ الوسط اليهِ ويتغلب على العوامل

الضارة بهِ التي لا بدَّ من تأثيرها فيهِ . وعليهِ فاختلاف الوسط يفضي الى اختلاف التركيب. ولما كان الوسط دائم التغير كان النبات دائم الجهاد مطاوعة لذلك التغير ومتى فقد القوة التي يحفظ بها علاقتهُ بالوسط يبيت ضعيفاً مريضاً ثم يموت. فصحة النبات اذًا تقوم بحفظ التوازن بينهُ وبين الوسط المحيط بهِ

هذا ولما كان من المرجح بل من المؤكد ان جميع النباتات المعروفة الآن متسلسلة من صورة اصلية فاننا نجد في تاريخ الانواع المختلفة عظم التأثير الذي يؤثرهُ جهادها الطويل مطاوعة لتغير الوسط. ولا ينكر ان تأثير التغير في النبات الواحد يكون قليلاً ولكن طول تعرض النوع اجيالاً كثيرة لذلك التأثير يأول الى تغير كثير على انهُ وان كنا لانرى سوى تغير طفيف في النبات الواحد الاَّ انهُ لا يطرأ على النوع تغير عظيم مالم تتغير الافراد التي تتألف منهُ على التوالي. وعليهِ فلا بدَّ من ان ندقق النظر في الفرد لنرى ما هي الخصائص التي تؤدي الى تغيير الصور والتراكيب التي نراها بعد مرِ السنين . وللوصول الى ذلك يلزمنا ان ندرس طريقة تكييف النبات نفسهُ مطاوعة للوسط المحيط بهِ . ولذلك طريقان فاما ان النباتات التي لايلائم تغير الاحوال تراكيبها تموت وتندثر ولا يبقى الاَّ النباتات الاصلح منها للبقاء ولحفظ النوع وهذا يفترض ان النباتات الخاصة بجيل من الاجيال تتغير تغيرًا طفيفاً في خصائصها الفسيولوجية وإمَّا ان يكون للفرد من النبات قوة يستطيع بها الشعور بالتغير الذي يطرأ على الوسط المحيط بهِ وتكييف نفسهِ مطاوعة لذلك

ولا يبعد ان يكون هذان المذهبان صحيحين الى حدٍ محدود وانهما يتعاونان معاً للوصول الى النتائج التي نراها امامنا . على ان اسباباً قوية تؤيد ان للمذهب الثاني اليد الطولى في التغير الماضي . ثم اننا نرى تغيرات عديدة تجري امام اعيننا ويمكن تعليلها بالمذهب الثاني ولا يمكن تعليلها بغيرهِ . فان كلَّ نبات معرَّض لتأثير عامل محدود من العوامل الخارجية يكيف نفسهُ على طريقة محدودة موافقة لذلك العامل . ومن الصعب ان ننكر على النبات قوة الاحساس بالمؤثرات التي تطرأ عليهِ وتأثير تلك المؤثرات يسمى في الاصطلاح تنبيهاً والشعور بهِ يسمى حساً فامامنا اذًا امران يجب البحث فيهما الواحد خارج عن النبات والآخر داخل فيهِ

وهنا مسألة عويصة تصعب الاجابة عنها وهي هل الاحساس بذلك التنبيه يتضمن شيئاً من الشعور. ولا يمكننا ان نجيب عن هذا السؤال بالايجاب لان الشعور ينطوي على الفكر فمن الصعب ان يقال ان تأثر النبات يتضمن شيئاً من الارادة لان الفكر والارادة من وظائف مراكز الاعصاب في اعظم الحيوانات ارتقاء ولكن بعض الدلائل تدلُّ على وجود قدر محدود

من الشعور في النبات بمعنى انهُ يشعر بطبيعة الوسط المحيط بهِ

وليس غرضنا من هذه المقالة الاطالة في هذا الموضوع وانما نقتصر على مسأَلة التنبيه والحس كما نراها في حياة النبات العادية صارفين النظر الآن عن تعليل العلاقة التي بينهما · واول مايهمنا في التنبيه معرفة طبيعتهِ · ولنفرض جدلاً ان لكل نبات حالة يكون التوازن عندها على اتمهِ بين النبات والوسط الذي يكتنفهُ اي انهُ يجد حولهُ مايحتاج اليهِ من الحرارة والنور والرطوبة وسائر مايؤَثر فيهِ فتكون حياتهُ حينئذٍ على احسن مايرام · ولكن حالة مثل هذه وقتية لاتدوم لان الوسط في تغيّر دائم من جهة هذه الامور ومادة النبات الحية في تحرك دائم · ولحفظ الصحة ولحفظ الحياة في النبات يقتضي ان يكون النبات قادرًا على تكييف نفسهِ مطاوعة للطوارىء التي تطرأُ على الوسط المحيط بهِ · وعجزهُ عن حفظ الموازنة الدائمة بينهُ وبين الوسط هو سبب انقطاع الحياة او الموت

فتغير الوسط تغيرًا مثل هذا هو ما يسمونهُ بالتنبيه وهو يؤَثر في النبات من اوجه عديدة ويسبب تأْثيرات متنوعة مختلفة في درجة شدتها

وهناك امور أُخرى تؤَثر في حياة النبات ولا تسهل مشاهدتها فانهُ قد يطرأُ على مادتهِ الحية تغير سببهُ وقوع الخلل في داخلهِ · ويطرأُ على العمل الكيماوي المصاحب لعمل تغذية الجسم تغير سببهُ اما انحراف مجرى الغذاء في داخل النبات او اختلاف توزيع الغذاء فيهِ . ثم ان الحاق الضرر بالنبات نفسهِ قد يحدث اختلافًا في توزيع القوة او المادة داخلهُ فيؤَثر ذلك تأْثيرًا عظيمًا في مجرى الوظائف الحيوية . وكذلك كمية الغذاء التي يجدها النبات فانها قد تكون قليلة جدًّا فيبيت جائعًا طاويًا او تكون كثيرة فتورثهُ التخمة وكلا الامرين قد يفضي الى تغير عظيم في حياتهِ الظاهرة وفي المواد التي يفرزها في اثناء تغذيتهِ وفي القوة التي تتولد منهُ · فاذا قل الاكسجين مثلاً عن القدر اللازم لهُ فان ذلك قد يحدث تغيرًا كيماويًا جديدًا في توليد تلك القوة . فهذه العوامل المختلفة وغيرها تعدُّ منبهات او مؤَثرات . نعم ان منها ماهو داخليٌّ ولكنها كلها حقيقية يشعر النبات بها كما يشعر بالمؤَثرات الخارجية الظاهرة

ولندرك جلية فعل التنبيه في حياة النبات نبحث في بعض المنبهات او المؤَثرات التي هي اكثر ظهورًا من غيرها مثل وقوع اشعة النور الجانبية على بزرة نبات في اوائل نموها او على نبتة صغيرة فاذا وضعت النبتة بحيث تقع اشعة النور على جانب من ساقها دون الآخر تحدب الجزء الذي هو اكثر نموًّا وقد يزداد التحدب الى حدٍّ ان يصير محور النبات موازيًا لجهة اشعة النور وليس ذلك مقصورًا على النبتات الصغيرة بل قد يظهر في اجزاء من النباتات الكبيرة.

ومن الامور المشاهدة عموماً ان بعض النباتات التي نزرعها في اصصنا تنحني نحو الجانب الذي تصيبهُ اشعة النور . وجذور بعض النبات تتأثر من اشعة النور اذا تعرضت لها وتنحرف بحيث تصير موازية لها ولكن رؤُوسها تنمو في الجهة المخالفة لجهة اشعة النور وكذلك الاوراق وغيرها من الاعضاء . اما الاوراق فتنحرف بحيث تقع اشعة النور عمودية عليها

ومما يشاهد في الجذور وهي تنمو في التربة انها اذا صادفت شيئاً لا تستطيع ان تخرقهُ دارت حولهُ واستمرت في نموها . وكلُّ ما يمسُّ رؤُوس الجذور الصغيرة وهي تنمو يحرفها عن الخط المستقيم الذي تنمو فيهِ

ولا بدَّ من درس طبيعة التأثر الذي يتأثرهُ النبات قبل الحكم في علاقتهِ بالمؤثر ومن تبيين تلك العلاقة اذا اردنا ان ننسب الحس اليهِ . واول ما يستوقف النظر في هذا الصدد ما في تأثر النبات من القصد الظاهر . فان انحراف اوراق النبات بحيث تقع اشعة الشمس الجانبية عمودية على سطوحها انما يقصد منهُ ايصال تلك الاشعة الى سطوح الاوراق كلها على السواء . فترى الاوراق على زوايا متساوية بالنسبة الى السوق والجذوع . وعليهِ فاذا كانت ساق النبات موازية لاشعة نور الشمس اصاب معظم النور سطوح النبات الخضراء حيث يتكوَّن السكر بفعل النور . اما توجه رؤُوس الجذور الى الجهة المقابلة لجهة اشعة النور فالقصد منهُ حفظ الجذور في التربة حيث يسهل عليها امتصاص الغذاء . والتواء عساليج النباتات يعينها على التعلق بما حولها لكي لا تداس سوقها الضعيفة ولكي يصل النور والهواء الى اوراقها

ومن الاعتبارات في هذا الشأن ان اجزاء النبات التي يصيبها التنبيه او التأثير محصورة في بعض الاماكن فقط فهي في الجذور خلف رؤُوسها . وفي الفرخ الصغير تحت رأْسهِ اي انها في مكان يختلف عن المكان الذي يدير حركة النبات

ومنها ان اقل المنبهات او المؤثرات قد يسبب تأْثيرًا عظيمًا وانهُ لانسبة بين التنبيه ومقدار التأثر الناتج عنهُ . والخلاصة ان بين التنبيه والحس علاقة سببيَّة وان تأثر النبات دليل عليهما كليهما

اصلاح النسل

تعريفهُ ومجالهُ وغايتهُ

ملخص من خطبة القاها الدكتور فرنسيس غلتون على الجمعية الاجتماعية في لندن

عند الغربيين علم يسمى بعلم اصلاح النسل وهو يبحث في جميع العوامل التي من شأْنها ان تحسن غرائز النسل وترقي مزاياهُ الفطرية بصرف النظر عن المزايا الادبية . ومقتضيات هذا العلم سهلة التعريف والتعيين فان الكلَّ متفقون على ان الصحيح يفضل المريض والقوي يفضل الضعيف والملائم للبقاء يفضل غير الملائم لهُ . وبعبارة اخرى ان كلَّ حيٍّ يفضل ان يكون زبدة نوعهِ على ان يكون ثفلهُ مهما يكن ذلك النوع . فغرض هذا العلم ان يستخلص من كل نوع زبدتهُ وينتقي احسنهُ ليصح اتخاذ ذلك الاحسن مثالاً لهُ وليحمَّل فوق ما فرض عليهِ في رفع شأن النسل الذي يعقبهُ ولذلك خمس طرق

(١) ان يهتم اولو الشان بنشر النواميس الثابتة المختصة بالوراثة والتعمق في درسها فان قليلين يعلمون ما بلغهُ علم الوراثة من التقدم في السنين الاخيرة حتى صارت الاحصاءات المتعلقة بهِ لا تقل عن احصاءات المواليد والوفيات دقة وضبطاً

(٢) ان يبحثوا بحثاً تاريخيًّا في قيمة الخدمة التي خدمت بها طبقات الهيئة الاجتماعية اوطانها قديمًا وحديثاً . فان هناك ما يحمل على الاعتقاد ان قيام الامم وانحطاطها لهما علاقة شديدة بهذا الامر

(٣) ان يبحثوا بحثاً مطردًا في الاحوال التي نشأَت العائلات الكبيرة فيها وأَثرت . وليس من الصعب على الذين يهمهم هذا العلم ان يجمعوا من حقائقهِ ما يفيد رجال الاحصاء والامر الذي يجب تحقيقهُ هو حالة الوالدين عند زواجهم ويجب ان تبين الاسباب في اثراء الاولاد

(٤) ان يبحثوا في العوامل المؤَثرة في الزواج . قال اللورد باكون في كلامهِ على الموت وتحقير قدرهِ في النفوس ما يأْتي "ليس في صدور الناس عاطفة مهما صغر شأْنها وضعف فعلها الاَّ وتستخف بالموت وتكسر شوكتهُ وتزيل رهبتهُ من النفوس . فالانتقام ينتصر عليهِ والمحبة تحتقرهُ والشرف يتمناهُ والحزن يجري اليهِ والخوف يسابق عليهِ". وما قالهُ اللورد باكون في الموت يصح ان يقال في الزواج . فان عاطفة الحب تتغلب على غيرها من العواطف حتى يظنّ ان من الحمق تحويلها عن مجراها ولكن الحقائق المعروفة لا تؤَيد هذا الظن لان للعوامل

الاجتماعية تأثيراً عظيماً وهي متعددة الانواع فلو حرِّمت عقود الزواج غير الملائم من الهيئة الاجتماعية او نظر اليها بعين الاشمئزار التي ينظر بها بعضهم الى الزواج بين الاقارب لقلَّ عددها كثيراً

(٥) ان توضح اهمية اصلاح النسل في مصير الامم

ولا بد من النظر في ثلاثة امور قبلما يشيع اتباع مبادئ هذا العلم . وهي اولاً يجب ان يعدَّ من المسائل المألوفة حتى تدرك حقيقة اهميتهِ . ثانياً يجب ان يعد موضوعاً يسهل الجري عليهِ فعلاً . ثالثاً يجب ان ينقش على ذهن الامة كأَنهُ دين جديد وهو يستحق ان يصير فرضاً دينيًّا واجب الاداء في المستقبل لانهُ يعاون الطبيعة على وجوب اختيار الاصلح من طوائف الانسان ليمثّل النوع كلهُ . على ان الطبيعة تتمُّ مهمتها من هذا القبيل وهي عمياء بطيئة عديم الشفقة واما الانسان فرائدهُ في ذلك بعد النظر والسرعة والرفق

ويقال بوجه الاختصار ان تحسين النوع من اسمى الغايات التي يرمي الانسان اليها . فاننا نجهل مصير النوع الانساني ولكننا نشعر ان السعي في رفع شأنهِ عمل شريف سامٍ كما ان تخفيض منزلتهِ عمل دنيء حقير . ولست ارى مايمنع صيرورة هذا العلم واجباً دينيًّا متحتماً قضاؤُهُ . واول ما يجب عملهُ في هذا الصدد ان تبين اهمية هذا العلم للناس ثم تترك مبادئهُ تنغرس في قلوب الامم وتنطبع على صفحات اذهانهم فيفضي ذلك شيئاً فشيئاً الى ظهور النتائج الفعلية من تلك المبادئ الخيالية بطرق لا نستطيع الاحاطة بها الآن

هذه خلاصة ما قالهُ العلامة الدكتور فرنسيس غلتون الذي يعدُّ واضعاً لهذا العلم لانهُ اول من بحث فيهِ بحثاً مستفيضاً مبنيًّا على الاستقراء . ولما اتمَّ خطبتهُ تعقَّبهُ بعض العلماء الباحثين في هذا الموضوع وامثالهِ فقال الدكتور ريد "ان للوراثة الشأن الاول في حالة النسل فهي الاساس لكل فضيلة ورذيلة ولكل صفة ادبية واجتماعية وسيبقى الناس يخبطون خبط عشواء الى ان تعلم نواميس الوراثة حقَّ العلم"

وقال بنيامين كد Kidd المشهور ببحثهِ في اسرار الاجتماع ان ما يعَد انحطاطاً في بعض الشعوب الدنيا انما هو نقص في القواعد الاجتماعية وليس هو انحطاطاً في قواهم العقلية . وود ان يُعلم علم الاجتماع الانساني تماماً قبل ان توضع القواعد لاصلاح النسل كأَنهُ لا يُسلّم بان المزايا التي يمتاز بها المتمدنون الآن كلها من الحسنات التي يجب حفظها لاصلاح النسل

وقال المستر جورج برنردشو ان الناس يعتنون باختيار عملائهم وطبَّاخيهم اكثر ممَّا يعتنون باختيار ازواجهم وزوجاتهم فإِمَّا ان نتركهم وشأنهم او نلقى منهم من النفور والعناد اكثر مما ننتظر

وقال المستر ولس ان كثيرين من المشهورين بارتكاب الجرائم فيهم من الفطنة والذكاء وحسن النظر اكثر مما في القضاة الذين يحكمون عليهم

صوم الحيوان

لايخفى ان القواقع (البزاق) تصوم فصل الصيف كلهُ وجانباً من فصل الربيع والخريف فتسدل حجاباً صفيقاً على فم قوقعتها وتنزوي في جوفها من غير حراك وتبقى كذلك الى ان يقع المطر ويبلل التراب ويسهل عليها سبيل الاغتذاء فتنزع الحجاب عن بابها وتسعى في طلب الرزق . ويعلم الذين يأكلون البزاق انهم يجدون فيهِ في آخر فصل الشتاء جسماً دهنياً غروياً يكاد يكون شفافاً يبلغ طولهُ سنتمترين او اكثر وثخنهُ نحو سنتيمتر . واما في اول فصل الشتاء حينما يخرج البزاق من مخباءِ فيكون هذا الجسم قد ضمر ولم يبقَ منهُ الاَّ شيء دقيق كأنهُ مؤونة عاش الحيوان عليها وهو صائم فكفتهُ للتنفس البطيء الذي كان يتنفسهُ فنفد اكثرهُ

واكثر الحيوانات التي تشتو تصوم في فصل الشتاء لكنها تذخر في اجسامها من الغذاء ما يكفي لقيام حياتها فكانها النمل يجمع في قراهُ الطعام الذي يكفيهِ فصل الشتاء . ولاغرابة في ذلك لان هذه الحيوانات تقلُّ حركتها في الشتاء او تنقطع عن الحركة تماماً فلا يبقى منها الاَّ التنفس البطيء وهذا يكفيهِ قليل من الغذاء او من المواد الدهنيَّة التي تحترق رويداً رويداً لئلا ينطفئ سراج الحياة فيسهل عليها الصوم لقلة حركتها

لكن من الحيوانات ما يصوم في الزمن الذي يحتاج فيهِ الى الحركة الكثيرة والجهاد العنيف وهو الحيوانات المعروفة باسود البحر وادبابهُ والسمك المعرف بالسامون

اما اسود البحر وادبابهُ وهما نوعان من الفقمة فان اناثها تصعد على الجزائر التي تلد فيها وتبقى هناك عشرة ايام الى اثني عشر يوماً منقطعة عن الطعام لانها لا تجد هناك طعاماً تأكلهُ . والذكور الكبار تصعد الى الجزائر في اوائل شهر مايو وتبقى هناك الى اواخر شهر يوليو ثلاثة اشهر تقضيها صائمة من غير طعام وتكون في اول الامر سمينة كثيرة الدهن فتنحف وتدقُّ رويداً رويداً الى ان ينقضي فصل المزاوجة ولكن قوتها لا تفارقها فتبقى تتحارب وتتصارع على الاناث الى ان ينتهي فصل المزاوجة وتنزل الى الشاطىء وحينئذٍ يظهر عليها الضعف والسكينة ويصير صيدها سهلاً كأنها تكون قد قضت غرضها من الحياة ولم يعد لها مأرب فيها

واما سمك السامون الكثير في انهار اوربا و بحارها و بحيراتها وهو الذي يوضع لحمهُ في علب من الصفيح ويؤْتى بهِ الى هذه البلاد ولونهُ برتقالي فقد علم منذ اكثر من عشرين سنة ان ما يعيش في البحر منهُ لا يأْكل شيئاً وهو في الانهار وتبين انهُ يصوم من حين يخرج من البحر الى ان ينقضي فصل المزاوجة والتوليد فأنهُ يصعد من البحر الى الانهار المتصلة بهِ ويتزاوج فيها ويبيض ويفرخ ويكون جيوشاً جرارة لا تجد ما يكفيها من الطعام لو شاءَت الاكل ولان الزمن قصير لا يسعها لتأْكل وتشرب وتتزاوج وتتوالد فتفضل الاهم على المهم وتنقطع عن الطعام لكي لا تنقطع عن قضاء الواجب الاهم لحفظ النوع وهو إخلاف النسل . ويكون في اجسامها من الغذاء ما يكفيها ولو بالتقتير حتى اذا تزاوجت وقضت الغرض من وجودها تكون قد نحفت تماماً واحاط بها الصيادون من كل ناحية فلا يصل منها شيء الى البحر. وليس كذلك السامون الذي يعيش في الانهار والبحيرات العذبة الماء فانهُ يأْكل في فصل المزاوجة كما يأْكل في غيرهِ ويعلل ذلك بان السامون الذي يعيش في البحر لا يجد الطعام في الانهار كافياً ولا مناسباً لذوقهِ فيصوم ولكن لا يضيع الوقت في التفتيش عن طعام قلما يجدهُ . ولا يبالي بالحياة بعد ذلك لانهُ يكون قد قضى الغرض من وجودهِ وهو اخلاف النسل فتعود صغارهُ الى البحر وتنمو فيهِ الى ان تبلغ اشدها فتصعد في النهر وتتزاوج كما فعل اسلافها من قبلها وتخلف نسلاً وتموت وهلمَّ جرًّا الى ما شاء الله

الشفاء بالهواء

من الامور المقرَّرة المتعارفة ان الذين تعمل لهم عمليات جراحية في قفار افريقية وصحاري بلاد العرب تلتئم جراحهم ويشفون حالاً . واذا أُلقيت جثة انسان او حيوان في العراء لم يحلَّ بها الفساد بل جفت جفافاً كاللحم المقدَّد . واللحم يعلَّق في الهواء في تلك الاماكن فيبقى اياماً كثيرة من غير ان يفسد . وسبب ذلك كلهِ نقاوة الهواء هناك وقلة وجود الميكروبات فيهِ

ومن المقرَّر ايضاً ان الحيوانات التي تصاب بداء السل وهي في بساتين الحيوانات كالقرود لا تصاب بهذا الداء ابداً وهي في قفارها واذا اصيبت بهِ وهربت الى القفار شفيت منهُ ولو كان قد اتلف نصف رئاتها وهذه الامور وامثالها رسخت في الاذهان ان الهواء النقي يمنع الفساد ويشفي من بعض الامراض

وقد شاعت الآن معالجة المسلولين بالهواء النقي بوضعهم في مصاحَّ نقية الهواء وترويض

ابدانهم رياضة معتدلة واطعامهم المآكل المغذية وتنويمهم في غرف مفتوحة الكوى مطلقة الهواء . ومدار الفائدة في ذلك كلهِ على الهواء النقي وعلى كثرتهِ

ولدت طفلة بالامس واصيبت بعسر في النفس لسبب غير معروف فبطل تطهر دمها وازرق بدنها وكادت تموت اختناقاً . ودعي لها الاطباء فحاولوا إنعاشها بالتنفس الصناعي فافاد بعض الفائدة ولكن بقيت نوب عسر التنفس تتردَّد عليها حتى قُطع الامل من نجاتها . فعولجت بمزج الهواء الذي تتنفسهُ بالاكسجين الصرف فتطهر دمها ولم يطل عليها المطال حتى اصطلح تنفسها وشفيت مما اصابها . ويتضح من ذلك ان الهواء النقي لا يكفي وحده في بعض الاحوال المرضية مهما كثر مقداره بل لابد من معالجتهِ على اسلوب يزيد بهِ فعله كما ان الماء لا يكفي وحده مهما كان نقيًّا بل تضاف اليهِ مواد دوائية اذا اريد استعماله علاجاً ويقال ان الهواء في بعض الاماكن يشفي من بعض الامراض فيقصدها الاغنياء للاستشفاء بهوائها . فاذا كان نافعاً شافياً كما يقال فلا بدَّ من انهُ يحوي شيئاً يجعله كذلك فاذا بحث العلماء فيهِ بحثاً مدققاً فلا يبعد ان يكتشفوا ذلك الشيء ويصيروا يضيفونهُ اليهِ ويعالجون المرضى بهِ . ولم يبق ذلك في حيز الظن بل قد صار العمل بهِ فانشيء مستشفى يعالج فيهِ المرضى ولا سيما المسلولون بالهواء المعالج بالاكسجين والاوزون فظهرت فائدتهُ في خفض الحرارة وتقليل العرق ولكن لا يبعد ان يبقى للاماكن المشهورة بطيب هوائها مزية كبيرة لان فيهِ اشياء أُخرى لم تعلم حقيقتها حتى الآن . فقد ظهر ان الماء المعدني الذي يستعمل علاجاً في بعض الامراض لايفيد اذا صنع صنعاً او اذا نقل من بلاد الى أُخرى ولم يعلم سبب ذلك قبلاً بل ظن الكثيرون انهُ من قبيل الوهم ولكن ظهر الآن ان في الماء المعدني شيئاً يفيض منهُ كما تفيض الاشعة الكيماوية من عنصر الراديوم وهذا الشيء ينفد منهُ بعد مدة غير طويلة . وكذلك ظهر من البحث في هواء الجبال في سويسرا ان فيهِ من قوة الاشعاع هذه اضعاف باقي هواء الاودية . فاذا ثبت ذلك بعد تكرار البحث فلا يبعد ان يكشف السبب الذي يجعل الهواء في بعض الاماكن صحيحاً منعشاً للابدان شافياً من الامراض فتسهل معالجة الهواء بهِ في كل مكان وتصير المواد الشفائية تمزج بالهواء وتستنشق معهُ كما تمزج المواد الدوائية بالماء وتشرب معهُ لكن هذا الامر يقتضي درساً كثيرًا وبحثاً طويلاً وهو منوط بالعلماء الطبيعيين ولا بدَّ من ان يحققوه ويضعوه على اساس متين فيصير الاستشفاء بالهواء امرًا مألوفاً كالاستشفاء بالدواء . والبحث يولد الغرائب

نظارة المعارف والكتاتيب

اصدرت نظارة المعارف تقريرًا عن حالة الكتاتيب في سنة ١٩٠٣ وصدرتهُ بمقدمة بينت فيها انواع الكتاتيب وما يعلم فيها فاتضح منها ان عدد الكتاتيب التي كانت موجودة في القطر المصري في سنة ١٨٩٧ بلغ ٩٤٠٤ منها ٨٨٩٧ اسلامية و ٥٠٧ قبطية وان عدد تلامذتها ١٧٧٣٢١ منها ١٧٣٦٤٠ ذكرًا و٣٦٨١ انثى

وقد بدأت الحكومة بتوجيه عنايتها الى الكتاتيب منذ سنة ١٨٦٩ حيث صدر امر عالٍ بجعل كل كتاتيب القطر خاضعة لتفتيش نظارة المعارف العمومية ثم صدر قرار مجلس النظَّار في سنة ١٨٨٩ بان تحال على نظارة المعارف جميع الكتاتيب التي آل امرها الى ديوان الاوقاف

وصدر امر عالٍ آخر سنة ١٨٩٠ بجعل جميع الكتاتيب الاهلية التي في العاصمة والاسكندرية وعواصم المديريات وجميع الكتاتيب التي تفتح بعد صدور الامر العالي المذكور باي جهة من جهات القطر خاضعة لنظارة المعارف ولا يمكن فتح اي محل للتعليم الاَّ اذا اذنت النظارة في فتحهِ ولكن هذا الامر العالي اهمل ولم يعمل بهِ اصلاً ثم سنت الحكومة سنة ١٨٩٧ طريقة اخرى لتفتيش كتاتيب القطر واصلاحها وذلك بتعيين مقدار من النقود يعطى اعانة للكتاتيب التي تخضع لتفتيش نظارة المعارف وتتبع ارشاد المفتشين

فقسمت الكتاتيب التي تفتشها نظارة المعارف من حيث الادارة الى قسمين وهما اولاً كتاتيب الحكومة التي تديرها نظارة المعارف ولها عليها السلطة التامة . وثانيًا الكتاتيب الحرة التي خضعت باختيارها لتفتيش نظارة المعارف طمعًا بالاعانة ويبلغ عدد الكتاتيب التي تديرها نظارة المعارف الآن ٩٣ كتابًا منها ٧٥ في العاصمة و ٨ في الوجه البحري و ١٠ في الوجه القبلي ثم ان ٨٨ مكانًا من اماكن الكتاتيب المذكورة تابعة للاوقاف وخمسة لنظارة المعارف وواحدًا للدائرة السنية واربعة مستأجرة . وكان اكثرها متخربًا فرمم بمساعدة ديوان الاوقاف ولكنها مع ذلك لا تزال غير صالحة للغرض المطلوب منها وحالها غير صحية ولا يمكن حل مسألة هذه المباني حلاً مرضيًا الاَّ بانشاء مبانٍ جديدة في مواضع مناسبة تكون موافقة لحاجات التعليم الحديثة وتوزيعها توزيعًا جغرافيًا منظمًا مع مراعاة العادات والشعائر القومية لان العلاقة بين الكتاتيب والمساجد والاسبلة قديمة جدًا في التاريخ الاسلامي ولذلك يجب عمل ما في الوسع لابقاء هذه العلاقة على قدر الامكان وقد بدأ ديوان الاوقاف هذا المشروع ببناء كتاب

جديد في العباسية بجوار قبة الفداوية وهذا الكتاب لا يمكن بناء غيره على مثاله لانهُ ارقى مما يلزم للكتاتيب وسيكتفى في المستقبل ببناء كتاتيب اخرى تكون ابسط شكلاً واقل نفقة

ويظهر مما نشرهُ سعادة علوي باشا عن انتشار مرض العيون في الكتاتيب ان التلامذة المصابين بالرمد الحبيبي كانوا ٧٥ في المئة في سنة ١٩٠٢ مقابل ٨٠ في المئة في السنتين السابقتين و ٨٥ في المئة في سنة ١٨٩٩ و ٩٦ في المئة في سنة ١٨٩٨

وقد تحسنت حالة معلمي الكتاتيب بعد ان وضعت نظارة المعارف النظام الجديد المتعلق بامتحانهم واستبدال المدرسين غير الاكفاء بغيرهم من الاكفاء فنتج عن ذلك تحسين سريع في نظافة التلامذة والاماكن ولربما يكون عدد المعلمين غير الاكفاء عظيماً ولكن الكثير منهم متقدمون في السن وعلى كثير من التقى والصلاح وحسن الخلق فليس من الحكمة استبدالهم بغيرهم لما يلحقهم من الضرر

ثم ان النظارة تدفع ١٤٠ غرشاً في الشهر لكل فقيه نجح في الامتحان و ٧٠ غرشاً لكل عريف او عريفة اما المعلمون غير الاكفاء فتصرف لهم المرتبات التي خصصها لهم ديوان الاوقاف وهي في الغالب اقل بكثير من مرتبات النظارة وزد على ذلك ان الفقهاء والعرفاء يقتسمون بينهم ما يحصل من مصروفات التلامذة

وبلغ عدد تلامذة الكتاتيب التي تديرها النظارة ٥١٦٦ تلميذاً منهم ٣٩٤٠ ذكراً و ١٢٢٦ انثى وفي كل من كتابي شيخون و بولاق قسم للعميان ولكن عدد التلامذة يتناقص في هذين القسمين عاماً فعاماً والتعليم فيهما لا يكاد يكون شيئاً مذكوراً وقد كانت قلة المال الى الآن مانعاً من الالتفات اليهما فحالتهما الآن تستوجب البحث في ما يلزم لهما من الاصلاح ويجب ان يقتصر التعليم فيهما على العلوم الموصلة الى الاغراض النافعة

وقد جعلت الدراسة في الكتاتيب على ثلاث فرق يتمها التلميذ عادة في ثلاث سنين ويتفرغ بعد ذلك للاشتغال بالحرف او الصنائع او غير ذلك وسنت طريقة في سنة ١٩٠٢ يتعلم التلميذ بمقتضاها نصف النهار بالكتاب ثم يتعلم احدى الصناعات في النصف الآخر منهُ وانتخب بعض التلامذة لذلك

وخلاصة القول ان الكتاتيب تقدمت تقدماً بيناً فتحسنت ابنيتها وحالتها الصحية بعض التحسن وزاد عدد المعلمين بها وارتفعت حالتهم وانشئت مدرسة لتعليم معلمات للكتاتيب واتخذ بعض الطرق لايجاد وصلة بين التعليم في الكتاتيب وتعليم الصناعات ٠ وقسم التلامذة الى فرق وترقت حالة التفتيش والتلامذة وزادت درجة النظافة والترتيب في المباني والامتعة

والادوات حتى صار من الظاهر ان الكتاب يكون عما قليل ركناً قوياً من اركان التعليم في مصر

ووجهت نظارة المعارف عنايتها الى اصلاح كتاتيب الاعانة بطريقة اختيارية وهي طريقة التفتيش والاعانة وذلك ان تعطي كل كتاب اعانة قليلة على شرط ان يعلم فيهِ المطالعة والاملاء والخط والحساب بحسب جدول تقررهُ النظارة وان يصل الكتاب الى درجة مقبولة والاعانة على درجتين درجة اولى قدرها ٤٥ غرشاً و ٣٠ غرشاً عن كل تلميذ ودرجة ثانية قدرها ١٠ غروش و ٢٠ غرشاً عن كل تلميذ وتقسم النظارة الاعانة بين الفقهاء والعرفاء فيكون نصيب الفقيه ضعف نصيب العريف وهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن اتباعها في ترقية شؤُون الكتاتيب . وقد بلغ عدد الكتاتيب التي استحقت الاعانة ١٥١٢ كتاباً في سنة ١٩٠٣ ومجموع الاعانة التي صرفت في هذا العام ٦٧٥٢ جنيهاً

وتقدم مشروع تنظيم الاعانة تقدماً عظيماً . ففي سنة ١٩٠٢ عدلت اللائحة واعيد طبعها واسقط من الكتاتيب ما قل عدد تلامذتهِ عن ١٥ وتقرر اتباع طريقة سهلة في توزيع الاعانات بين المعلمين وتحويل الكتاتيب الى مدارس قروية ووضع بروجرام لما يجب تعليمهُ فيها وانشئَ فيها تفتيش مخصوص وزيد عدد المفتشين . ولا بد من السعي لاقناع الاهالي باعانة الكتاتيب على قدر الاستطاعة فقد اظهر سكان الارياف استعداداً لمساعدة الكتاتيب واصلاحها وهذا الاستعداد يفتح باباً واسعاً للامل باتمام هذا الاصلاح رغماً عما يعترضهُ من المصاعب لكثرة هذه الكتاتيب ولان ٩٠ في المئة من اماكنها غير صالح بالمرة للتعليم وزد على ذلك انها كلها خالية مما هو ضروري من الاثاث المدرسي وقلة مرتبات التلامذة لا تسمح للمعلمين ان يقصروا اوقاتهم على التعليم في كتاتيبهم . والمظنون انهُ لا يمكن الحصول على معلمين اكفاء لها في المستقبل اذ لو فرضنا ان الحكومة دفعت خمسين غرشاً لكل معلم من معلمي الكتاتيب التى يبلغ عددها نحو خمسة عشر الفاً لزاد مقدار الاعانة في كل عام عن تسعين الف جنيه وهذا ما لا يمكن ان تقوم الحكومة بهِ الآن فضلاً عن انهُ لا يحسن مطلقاً تعليم الاهالي الاتكال على الحكومة اتكالاً كلياً للقيام بالاصلاح الذي يستطيعونهُ فالواجب ان يقرن مشروع الاعانة بمساعدات محلية كما حدث في مركز اسنا فان ماقام بهِ اهلهُ من اصلاح الكتاتيب انما هو خير قدوة لاهالي الجهات الاخرى فينبغي الحث على تاليف جمعيات محلية والاخذ بناصرها مع تعيين الاعمال المناسبة لها

وقد بلغ عدد الكتاتيب التي فتشت في سنة ١٩٠٣ — ٢٦٢٣ اسقط منها بعد التفتيش ٥٩١ لانها لم تكن مستوفية للشروط اللازمة للاعانة وفتشت الكتاتيب الباقية فاستحق ٢٠٠ منها

اعانة من الدرجة الاولى و ١٣١٢ اعانة من الدرجة الثانية وكان متوسط ما استحقهُ الكتاب من كتاتيب الدرجة الاولى ١٠٠١ غرش ومتوسط ما استحقهُ الكتاب من كتاتيب الدرجة الثانية ٣٦٢ غرشاً . واكثر ما صرف من الاعانات وخصوصاً لكتاتيب الدرجة الثانية كان على سبيل التشجيع لا عن استحقاق

وبلغ عدد فقهاء الكتاتيب التي فتشت ٢٠٤٧ وعدد الفقيهات ٨ وعدد العرفاء ١٢١٣ وعدد العريفات ٥ ؛ فمن ذلك ٢٩٨ فقيهاً وفقيهة لهم بعض الكفاءة لتعليم جميع العلوم التي تعلم في الكتاتيب و ١٢١١ لهم بعض الكفاءة ايضاً لتعليم بعض العلوم فقط و٣٨٦ غير اكفاء على الاطلاق و١١٧ عريفاً وعريفة لهم بعض الكفاءة لتعليم جميع العلوم التي تعلم في الكتاتيب و٧٩٥ لهم بعض الكفاءة لتعليم بعض العلوم و٢٧٣ غير اكفاء على الاطلاق او بعبارة اخرى ان ٢١ في المئة منهم لا يصلحون للتعليم ولا يمكن ان يكون التقدم في الكتاتيب كبيرًا الاَّ اذا وجدت طريقة لتربية المعلمين او لتربية من يساعدهم على التعليم

وقد اجتهدت النظارة سنة ١٩٠٢ في ترقية حالة المعلمين فانشأت فرقاً لتعلمهم مجاناً اللغة العربية والخط والحساب وفن التربية بعد ظهر يوم الخميس وفي صبيحة يوم الجمعة من كل اسبوع في ثلاث مدارس من مدارس العاصمة الابتدائية وفي ١٩ مدرسة من المدارس الابتدائية في الاقاليم وخمسة كتاتيب من كتاتيب الحكومة فبلغ عدد الذين قيدت اسماؤُهم بهذه الفرق ١٤٠٧ سنة ١٩٠٣ مقابل ٧٢٠ في السنة التي قبلها . وانشاء هذه الفرق انما هو مقدمة موقتة لعمل اخر يكون كافلاً لتخريج العدد الكافي من المعلمين للتعليم في الكتاتيب بالمستقبل

واقرب الطرق الموصلة لذلك هو ان يربى عدد من المعلمين الصغار السن القادرين على تأدية وظائف العرفاء بالكتاتيب ثم يشجعوا في مدة تأدية عملهم في الكتاتيب على اتمام حفظ القرآن الكريم وتجويدهِ حتى يتمكنوا في المستقبل من فتح كتاتيب خاصة بهم او يعينوا فقهاء في الكتاتيب التي يفتحها الاهالي

وتحتاج نظارة المعارف الى تأسيس عدد مناسب من المدارس الاهلية المرتقية التعليم في انحاء البلاد بحيث تكون ارقى بكثير من الكتاتيب الحالية ولا تحتاج الى ما تحتاج اليهِ مدارس الحكومة الابتدائية من النفقات ويكون تلامذتها من البلاد المجاورة فيجعل بكل مركز مدرسة من هذا النوع تكون مدة التعليم فيها خمس سنوات باللغة العربية فيدخلها التلميذ بين السادسة والسابعة من عمرهِ ويخرج منها بين الحادية عشرة والثانية عشرة ثم يجب ان يكون

التعليم فيها تامًّا لذاتهِ ومرتبًا ترتيبًا يفيد طبقات الامة التي تعلم اولادها فيها وقد سبقت صاحبة الدولة والدة الجناب العالي الى انشاء مدرسة من هذا القبيل في العاصمة ومن جملة ما ترمي اليهِ تلك المدرسة اعداد المعلمين الاكفاء للكتاتيب فالواجب على الحكومة ان تبدأ بهذا المشروع فتفتح في كل بلد فيهِ مدرسة ابتدائية مدرسة من هذا النوع تكون مرتبطة بالمدرسة الابتدائية وبعد ان يتم التلامذة دروسهم في هذه المدارس توضع لهم دروس مخصوصة لاعدادهم في المستقبل لوظائف العرفاء في الكتاتيب المجاورة لهم

اما المدارس التي يجب انشاؤُها من هذا النوع فتسعون مدرسة وهي ستٌّ في العاصمة وثلاث بالاسكندرية وواحدة في كل مركز ويمكن تحويل بعض مدارس الحكومة الحالية التي قسمت بها الدراسة على اربع فرق الى مدارس من هذا القبيل . وبتنفيذ هذا المشروع يكون في كل قرية كتَّاب وفي كل مركز مدرسة اهلية منتظمة وفي مراكز المديريات والمحافظات مدارس الحكومة على الطرز الاوربي وفي المدن الرئيسة مدارس الصنائع والمدارس الثانوية وفي العاصمة المدارس العالية والمدارس الخصوصية وعلى ذلك تكون الكتاتيب في كل مركز مساعدة للمدرسة الاهلية فيهِ

والذين يخرجون من مدارس المراكز يدخلون مدارس المعلمين ويقضون فيها سنة ليكونوا معلمين للكتاتيب وخمس سنوات ليكونوا معلمين بالمدارس الابتدائية ثم يخرج من مدارس المراكز ايضاً الذين يدخلون في مدارس الصنائع ومدرسة الزراعة فتكون مدارس المراكز ممهدة للتعليم النافع للذين لايقدرون على اتباع التعليم على الطريقة الاوربية وعليهِ فان الحلقة المفقودة من سلسلة التربية بمصر هي مدارس المراكز وقد شرعت النظارة في فتح مدرسة في العاصمة لمعلمي الكتاتيب الى ان يتيسر لها انشاء المدارس المذكورة

ويحتوي هذا التقرير على كثير من الكشوف ببيان الكتاتيب التي استحقت الاعانة وعدد تلامذتها ومقدار الاعانة التي دفعت لها وغير ذلك من الفوائد الاخرى

اما الاعانة التي دفعت الى كتاتيب القاهرة فبلغت ٢١٩٫٩٠ جنيهاً مصريًّا سنة ١٨٩٨ يقابلها ١٩٥٫٢٥ ج ٠ م سنة ١٨٩٩ و١٩٥٫٢٠ ج ٠ م سنة ١٩٠٠ و٢٦٢٫٣٥ ج ٠ م سنة ١٩٠١ و٤٥٠٫٧٠ سنة ١٩٠٢ و٥٩٤٫٥٠ سنة ١٩٠٧

وبلغ ما دفع من الاعانة الى كتاتيب الوجه البحري ومن ضمنها كتاتيب الاسكندرية ١٣٤٫٣٥ ج ٠ م سنة ١٨٩٨ يقابلها ٢١٤٫٨٥ ج ٠ م سنة ١٨٩٩ و٣١٨٫٨٥ سنة ١٩٠٠ و٩٩٤٫٩٠ سنة ١٩٠١ و١٢٨٦٫٩٥ سنة ١٩٠٢ و٣٤٠٥٫٣٥ سنة ١٩٠٣

وبلغ ما دفع من الاعانة الى كتاتيب الوجه القبلي حتى اصوان ١٤١,٠٠ ج٠م سنة ١٨٩٨ و٣٠٩,٨٠ سنة ١٨٩٩ و٤٨٥,٩٥ سنة ١٩٠٠ و٨٨١,٣٥ سنة ١٩٠١ و١٤٠٨,٢١ سنة ١٩٠٢ و٢٧٥٢,٠٠ سنة ١٩٠٣ . فيكون مجموع الاعانة التي دفعت الى كتاتيب القاهرة والوجهين البحري والقبلي معاً ٦٧٥١,٨٥ ج ٠ م في السنة الماضية

نبأ من اليابان

لقد كان المقتطف اول مجلّة عربية نوهت بذكر اليابان وكتبت عنها المقالات الضافية معجبةً بتقدُّمها السريع . ولم نخطئها الاَّ في اشتباكها مع الروس في حرب تعود عليها بالوبال سواء خرجت منها مغلوبةً اوغالبةً لانها ستضطرُّ ان تستدين الاموال الطائلة من اوربا فتحمل جميلها وترضخ لسيطرتها . فان ابتعادها عن ذلك حتى الآن هو الذي سهَّل عليها السير السريع في مراقي العمران كما قال لها الفيلسوف سبنسر في نصيحتهِ لها وارتطامها في حمأة الدين من الماليين الاوربيين سيغلُّ يديها و يعرقل مساعيها الاَّ اذا كان في شعبها من القوى الادبية الراسخة في نفوسهم ما يجعلهم امنع من عقاب الجو . و يظهر من المقالة التالية ان ذلك يكاد يكون شأنهم اذا كان كاتبها منزهاً عن الغرض ولم يكن قد اقتصر فيها على ذكر الكمالات مغضياً عن النقائص تمهيداً لقرض جديد يريد ان يقنع الماليين بالاقدام عليهِ . ومهما يكن من امرهِ فالمقالة حرية بالنشر لانها تدلُّ على فضائل حقيقية في الامة اليابانية وتكشف الستار عما كنا نودُّ معرفتهُ من امرها وهي للكاتب التزباشر وقد نشرت في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية . قال كاتبها ما خلاصتهُ

قال احد كتَّاب اليابانيين منذ عهد غير قريب "من جهل شيئاً عاداه" وهذا شأن اليابانيين فانهم كانوا يجهلون الاوربيين والاميركيين ولذلك كانوا يحسبونهم برابرة و يسيئون الظن فيهم وكذلك يحسب الاوربيون ان عمران اليابان سطحي حديث النشأة وسيزول سريعاً كما نشأ ويخلع اليابانيون الرداء الاوربي الذي تردَّوا بهِ و يعودون الى عنصرهم الاول

والحقيقة التي لا ريب فيها ان الاساس الذي بنى اليابانيون عمرانهم عليهِ قديم جدًّا اسَّسوهُ لما كان الاوربيون في مهدهم وظلوا يبنون فيهِ حجرًا بعد حجر الى ان اتموهُ بما اقتبسوهُ حديثًا من الاوربيين . فالاوربي والاميركي اللذان ينظران الى الامور نظرًا سطحيًّا من غير امعان يحسبان هذا العمران سطحيًّا قريب الغور نشأ بالامس من غير مسوّغ واما اليابانيون

فيعلمون ان ما بلغتهُ بلادهم الآن امر طبيعي لابدَّ منهُ وهو مبنيٌّ على اخلاق الشعب وتقاليدهم"

واذا اردنا ان نعرف كيف تمكَّن اليابانيون من اصلاح امورهم بهذه السرعة الغريبة وما هو الغرض الذي يرمون اليهِ وجب ان ننظر في شؤُونهم من وجهتهم ونطَّلع على احوالهم مما كتبوهُ هم عنها . ولقد نلقى هناك ما تستفيد منهُ اوربا واميركا مقدار ما استفادت اليابان منهما

قال الكاتب الياباني المشار اليهِ آنفاً ما ترجمتهُ

" لقد تعلَّمنا الملاحة (سلك الابحر) منذ عشرين سنة ولكن تدرُّب قوانا العقلية الذي مكننا من تعلُّمها لم يتم في عشرين سنة ولا في مئتي سنة بل تمَّ هو وغيرهُ في مئات والوف من السنين والفضل فيهِ لاسلافنا الذين واظبوا على ما يرقي قوى العقل

" ولقد كنا دائماً امةً متمدنة وكان عمراننا مرتقياً وانما كان ينقصنا ان نطبّقهُ على مطالب هذا العصر لذلك يجب علينا ان لا نكتفي بتعلم الملاحة بل يجب ان نتعلَّم ايضاً كل فرع من فروع المعارف الاوربية مهما كان طفيفاً ونتمسك بالنافع منها ونترك ما لانفع منهُ فنزيد قوةً ومنعةً

" لندخلْ ميدان هذا العالمَ ونخاضرْ فيهِ بالصبر ونبارِ الامم الاخرى في العلوم والفنون ونبيّنْ لهم مقدرتنا فتقوى بلادنا وتستقل وهذا غاية منانا"

هذا ما قالهُ هذا الكاتب منذ عشرين سنة حينما كان الاوربيون يحسبون اليابان مثل سيام وليبريا وغيرهما من ممالك المشرق المنحطة . ولقد تكلل سعيهُ وسعي غيرهِ من المصلحين بالنجاح فرقوا بلادهم وجعلوها من مصاف الدول الكبرى . والآن نلتفت الى ماضي اليابان والى كيفية انتقالها السريع متوخين الاختصار التام

ان تاريخ اليابان القديم غامض لا تعلم حقيقتهُ لكن من المقرَّر ان ملكها الحالي من اسرة قديمة جدًّا حكمت البلاد منذ ٢٥٠٠ سنة من غير انقطاع . ويستدلُّ من ذلك وغيرهِ على انها كانت مملكة منتظمة قبل الاسكندر المكدوني بثلاثمئة سنة . وكانت سفنها تسير الى كوريا قبل المسيح بسبع مئة سنة فكان اليابانيون امة بحرية حليفة اسفار من ذلك العهد . واحصى الملك سوجن عدد السكان سنة ٨٦ قبل المسيح ثم امر الملك كوتوكو سنة ٦٤٥ ان يعاد هذا الاحصاء مرة كل ست سنوات

ووضعت اليابان نظام البريد سنة ٢٠٢ للميلاد وانتظمت شؤُونها في القرن السابع والثامن وسنت حينئذٍ القوانين التي رسخت في اذهان اليابانيين الغيرة الوطنية واكرام النفس من غير اثرة واللطف والدعة والطاعة ومنها قوانين الامير شوتوكو التي ينظر اليها اليابانيون حتى الآن كما ننظر نحن الى وصايا موسى العشر وهي

" الاتفاق والوئام يفوقان كل ثمن والطاعة للقوانين المقرَّرة اول واجبات الانسان . لكن لكل فريق من الناس آراء تخالف آراء غيرهِ فنشأ من ذلك عصيان الملوك وعقوق الآباء والخصام بين الجيران والاقارب . ولا يستقيم حال الامة ولا تثبت على اساس مكين مالم يتفق الكبراء بعضهم مع بعض ويتصافوا مع الذين دونهم ويفصلوا كل خلاف وخصومة بالتحكيم

" يجب ان تطاع اوامر الملك وان يكون لشعبهِ مرشداً اميناً والاَّ ساءت حال الامة وتولاَّها الخراب والاضمحلال

" يجب ان يحترم الوزراء وسائر رجال الدولة ويعطى كل ذي منصب حقهُ من الاكرام

" خير شرائع البشر ان يجازى المحسن ويعاقب المسيء . من احسن عملاً فلهُ جزاؤُهُ ومن اساء فلهُ العقاب . التدليس والخداع يقوضان الدولة ويزهقان روح الامة

" لا عون بلا ثقة والثقة لازمة لكل عمل ولا يمكن حلُّ مشكل من المشاكل من غير ثقة . اذا وثق رجال الدولة بعضهم ببعض سهل عليهم تدبير المهام واذا زادت الثقة من بين الحاكم والمحكوم فسدت الامور كلها

" الجم الغيظ واطرح الغضب واقلْ عثرة اخيك

" اذا آخذتَ المرء بهفواتهِ لم يمنعهُ ذلك من ارتكابها ثانية والمؤاخذ لا يسلم من الخطإ . وسبيل النجاح هو السبيل الذي يسلكهُ الجميع متحدين

" لا يحمل الحقد من تعلو بهِ الرتبُ ولا ينال العلى من طبعهُ الحسدُ

" البغضة تولد البغضة والغيرة عمياء

" على كل امرءٍ ان يضحي مصلحتهُ الخاصة لاجل مصلحة بلادهِ فان الاثرة تمنع الاتحاد ولا يعمل عمل عظيم من غير اتحاد "

هذه الاقوال كتبت منذ الف وثلثمئة سنة وهي ادلُّ شيءٍ على اخلاق اليابانيين فانهم اوجبوا على انفسهم تعلمها والجري عليها منذ ثلاثة عشر قرناً الى الآن فرسخت في نفوسهم واليها ينسب ارتقاؤُهم ولذلك لا يستغرب قولهم ان تمدنهم قديم ولا ما يُرَى فيهم من التفاني في حب وطنهم واعلاء شأنهِ واندفاعهم كلهم نحو ذلك من الامير الى الصعلوك وانتفاء كل حسد وضغينة من بينهم وتمهُّد المناصب كلها للمستحق منهم من غير تمييز مهما كان اصلهُ وضيعاً . وهذه الحكم التي تضارع حكم ليكرغس وصولون تبيّن ما يرى في اليابانيين من الشجاعة والتعاون وحب الوطن والاعتماد على النفس وتفانيهم في ذلك كلهِ الى حد ادهش العالم

ولما كان الانتقال من بلاد الى أُخرى كثير المشقة كانت البلدان المرتقية تحسب نفسها

ارقى من غيرها وتحسب اهالي سائر البلدان برابرة فتقوى في نفسها الاثرة والتمسك بما عندها والتعصُّب لهُ فيدعو ذلك الى تأخرها . ولقد كان ذلك في مصر وبابل وفارس وفلسطين واليونان والصين وغيرها من البلدان القديمة فلا عجب اذا حسب اهالي اليابان الاولون ان بلادهم مركز المسكونة اوجدتها الالهة لهم وان ملكهم ابن السماء وانهُ من نسل الشمس التي يعبدونها . لكن هذه الدعوى وهذا الاعتداد بالذات لم يظلما عقول اليابانيين بل بقوا مستعدين للتعلُّم من غيرهم ولاقتباس انوار المعارف من سواهم فغلبوا كوريا واقتبسوا منها المذهب البوذي واقتبسوا من الصين كثيرًا من المعارف والصنائع وادخلوا دود الحرير الى بلادهم سنة ١٩٥ للميلاد واتوا منها بحاكة الحرير فانتشروا في البلاد يعلمون الاهالي وادخلوا منها زراعة الشاي سنة ٨٠٥ . ويظهر من ذلك ان اليابان كانت مستعدة دائمًا لتقتبس من الغير ولكنها كانت تتصرَّف في ما تقتبسهُ حتى يناسبها ولا تتقيَّد بهِ تقيدًا اعمى

وتسلطت الديانة البوذية على اليابانيين حتى حسبوا الصينيين ارقى منهم علمًا فلما قامت قيامة البوذيين على دعاة الديانة المسيحية من البرتغاليين في القرن السادس عشر رأت اليابان ان تقفل ابوابها دون الاوربيين وظلت ابوابها مقفلة من سنة ١٦٣٨ الى سنة ١٨٥٣ وهي سكرى بخمرة الاستقلال لكن مدافع الكومودور بري ايقظتها من سكرتها فانهُ اتاها باسطولهِ سنة ١٨٥٣ طالبًا منها ان تفتح ابوابها للتجارة والاَّ فتحها عنوةً . وكانت تحسب نفسها منيعة الجانب بعيدة عن الاجانب فعدَّت تطاولهُ عليها ذنبًا لا يغتفر ونفرت من هذا الطلب نفورًا هزَّ اركانها . والشعور الوطني في بلاد اليابان اشدُّ تأثرًا منهُ في سائر البلدان . وقد وصف ذلك احد اليابانيين المعاصرين قال ما ترجمتهُ

" جاءنا رجل اميركي اسمهُ بري مدعيًا انهُ موفد من قبل الولايات المتحدة الاميركية ودخل الى اوراغا في ولاية سجامي باربع بوارج حربية وقال ان معهُ كتابًا من بلادهِ مرسلاً الى اليابان ويريد ان يسلمهُ الى ملكنا بيدهِ ولما بلغ والي الولاية ذلك اضطرب وذهب بنفسهِ ليسمع ما يقولهُ هذا الرجل فرأى انهُ يطلب ان يسلم الكتاب الى احد الوزراء ويبين لهُ غرضهُ من زيارتهِ فارسل الوالي رسولاً الى القصر في يدو يخبر بما توقع ثم تلتهُ رسل اخرى فاضطرب الشوغن (١) ايبوشي واستدعى مشيريهِ اليهِ ليستشيرهم في الامر

وقد جاءهم هذا الخبر فجأةً فادهشهم وحصروا عن الكلام في اول الامر ثم ارسلت الاوامر الى رؤساء القبائل ليحفظوا الثغور مخافة ان تهاجمها سفن البرابرة . وأُرسل احد

(١) الشوغن قائد الجيش العام في بلاد اليابان وقد عظم شأنهُ حتى كاد يكون مستقلاً بالامر والنهي

العلماء الصينيين الى اوراغا فقابل الرسول الاميركي وعاد ومعهُ الكتاب الذي اتى بهِ وفيهِ تُعرب الولايات المتحدة عن رغبتها في ربط رُبط الصداقة والتجارة مع اليابان سلمًا او حربًا

" فاضطرب الشوغن من جراء ذلك وعقد مجلسهُ واستشار امراءهُ في ذلك فاقاموا يتذاكرون النهار كلهُ وليلتهُ . وأُخبر اعيان المدينة انهُ يباح لهم ان يبدوا ما يرونهُ من الاراء في هذا الشان فاختلفت آراؤُهم جدًّا حتى لم يقروا على قرار

" وكان الجنود قد اهملوا صناعة الحرب وعكفوا على الملاهي والملاذ ومضت سنون كثيرة من غير ان يتقلد احد سلاحهُ ولذلك قلقوا اشد القلق لما بلغهم ان الحرب قد نشبت حالاً وجعلوا يفتشون عن اسلحتهم واضطربت مدينة يدو كلها والقرى المجاورة لها حتى اضطرَّ الحكام ان ينشروا المنشورات لتسكين الاهالي . هذا كلهُ والرسول يلجُّ في طلب الجواب "

واتفق ان الكومودور بري وصل الى بلاد يابان وهي في اشد ازمة من تاريخها فان الجنود او الفريق الحربي من الاهالي كان قد قبض على ازمة الحكومة منذ سنة ١١٩٢ للميلاد ولم يكن الشوغن سوى قائد للجيش يعينهُ الميكادو فصارت ادارة البلاد في يدهِ وصار صاحب الامر والنهي واصبح الميكادو ملكاً بالاسم لا بالفعل (كما صار الخلفاء العباسيون في آخر عهدهم) وبقي لهُ المقام الرفيع ولكنهُ كان في الحقيقة اسيرًا في قصرهِ في كيوتو . وكانت البلاد مقسومة الى امارات يتولاها امراؤُها وكل امارة مستقلة عن غيرها وعن البلاد كلها في جنديتها وماليتها وقوانينها وكان هؤلاء الامراء مستبدين يظلمون الرعية ويمتهنونها ويدسون الدسائس بعضهم لبعض الاَّ ان كثيرين منهم كانوا يكرمون ارباب العلوم والفنون ويجلُّون قدرهم فصارت قصورهم محط رحال العلماء ومنها نشأَت الثورة التي ثارتها البلاد على الشوغن

وسنة ١٧١٥ اتمَّ الامير ميتو كتابهُ تاريخ اليابان فانتشرت نسخهُ في البلاد وفيهِ وصف مسهب لما حلَّ بسلطة الميكادو من الضعف واغتصاب الشوغن لمقاليد الاحكام فلما اطَّلع عليهِ الناس زاد نفورهم من الشوغن وكان ذلك اكبر باعث لهم على نزع السلطة من يدهِ وارجاعها الى الميكادو

وتلا هذا التاريخ تاريخ آخر الَّفهُ المؤَرخ راي سانيو من كبار الكتاب والشعراء حمل فيهِ على الشوغن وابان ظلمهُ في اغتصابهِ مقاليد الاحكام من اربابها وعزَّز اقوالهُ بالادلَّة التاريخية والمنطقية وتتبع تاريخ اليابان الى مبدإِهِ وتاريخ الاسرة الملكية ونسب كلَّ ما حلَّ بالبلاد من الإحن الى نزع السلطة من يد الميكادو وانتشر هذا الكتاب حالاً واقبل الناس على قراءتهِ فاقنعتهم ادلتهُ وقوي بهِ حزب الميكادو . وكان كهنة شنتو يحسبونهُ معبودًا لهم ومصدرًا لكل

الفضائل وكانت ديانتهم قد تولاَّها الخمول منذ عهد طويل فانتعشت حينئذٍ وهبَّ اصحابها لنصرة الميكادو وهم الفريق الاكبر من الاهلين لانها ديانة البلاد وطلبوا رد السلطة اليهِ

ووقعت البلاد حينئذٍ بين نارين نار الوعيد والتهديد من الاسطول الاميركي ونار الثورة الداخلية . لكن شعور الامة رجح على الثورة واقنعها بانهُ لا بدَّ لها من الاتحاد لكي تقوى على مقاومة العدو الخارجي الذي تطاول عليها . وزاد غيظها وزادت انفتها لما علمت ان الشوغن وافق الاجانب وامضى المعاهدة التي طلبوا منهُ امضاءها رغمًا عن تحذير الميكادو لهُ ان لا يفعل . وقد امضاها خوفًا من الاجانب ففتح البلاد لهم وصار همُّ الاهلين حينئذٍ هل يسمحون للاجانب بالاقامة في بلادهم او يستأصلون شأفتهم منها. ورأى جمهورهم ان لا بدَّ من طرد كل اجنبي فوقف الشوغن عندهم موقفًا حرجًا لانهُ امضى تلك المعاهدة رغمًا عن الميكادو. ونشر الميكادو حينئذٍ امرًا ملكيًّا قال فيهِ " ان مصادقة الاجانب ومعاملتهم جلبتا العار على البلاد فيحسن بمدينة كيوتو ومدينة يدو ان تتحدا وتحاربا حروب المملكة " وشاع هذا المنشور في البلاد كلها ودوت لهُ من اقصاها الى اقصاها وصرخ السكان قائلين ابطلوا الشوغنية وردوا الميكادو الى عرشهِ

وزاد حقد اليابانيين على الاجانب فقتلوهم من غير سبب واطلقوا المدافع من الثغور على السفن الاجنبية فدعا ذلك الى اطلاق القنابل على كوجوشيما في ١١ اغسطس سنة ١٨٦٣ وشيمونوسكي في ٥ سبتمبر سنة ١٨٦٤ . وحاول اليابانيون الدفاع فرأوا ان مدافعهم دون مدافع خصومهم فقالوا لا بدَّ لنا اذًا من مدافع مثلها لكي نستطيع محاربتهم. وكتب الميكادو الى الشوغن يقول

" عقدت مجلسًا بالامس مع مشيريَّ فوجدت ان سني السلم التي مرَّت علينا جعلتنا غير قادرين على اذلال اعدائنا بالسلاح واذا قابلنا بين بوارجنا ومدافعنا وبوارج البرابرة ومدافعهم وجدنا ان ما عندنا لا يكفي لارهاب اعدائنا البرابرة ولا لتمجيد اسم اليابان في البلدان الاجنبية وانما نجعل انفسنا هزءًا في عيونهم اذا قاومناهم بها "

ولم تكن الخسارة كبيرة من اطلاق المدافع على تينك المدينتين ولكن اليابانيين استعظموها ولم يستخفوا بها لانهم رأوا فيها اذلالاً لهم ودوسًا لاستقلالهم فرأوا ان زمن الانقسام والعزلة قد مضى وانهُ لا بدَّ لهم من الاتحاد داخلاً والاختلاط بغيرهم من الامم خارجًا . وقد كتب الاستاذ تويوكيشي ايناغا في هذا الصدد ما ترجمتهُ

" ان اطلاق المدافع على مدننا ارانا ان لا بدَّ من اتحادنا لكي نقابل الاجانب بالقوة

سواءٌ رحبنا بهم او اقصيناهم عنَّا وهذا يستدعي تغييرًا عظيماً في نظام البلاد الداخلي فيجب ان ترد الاموال الاميرية كلها الى خزينة واحدة وتحسب للامة وان تقوَّض اركان الحكومة الاقطاعية من البلاد ولا يعترف الاَّ بحاكم واحد لها اليهِ المرجع في كل الامور . وقد دعا ذلك الى تنظيم الحكومة الذي تمَّ سنة ١٨٦٨ فكان لاطلاق المدافع على كاجوشي وشيمونوسكي يد في هذا التنظيم لان التهديد والوعيد اوجبا الاستعانة بالامة كلها والاستعانة بها دعت الى مشورتها والوقوف على رأيها بعد لم شعثها فعقدت مجالس الشورى واجتمع فيها الامراء والرؤساء والوجهاء للنظر في دفع العدو عن البلاد"

ولما رأى الشوغن ان الاتحاد وردَّ السلطة الى الميكادو لازمان لحفظ استقلال البلاد عمل عملاً لا مثيل لهُ في تاريخ الامم فتغاضى عن مصلحة نفسهِ ومجد اسلافهِ الذين حكموا البلاد منذ مئات من السنين وقال ان المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة فاستعفى من منصبهِ في التاسع عشر من شهر نوفمبر سنة ١٨٦٧ ونشر منشورًا يُعدُّ مثالاً للغيرة الوطنية قال فيهِ

" لقد رأينا لدى امعان النظر في الشؤون المختلفة التي تقلبت عليها السلطنة انهُ لما انحطت سلطة الملوك انتقلت القوة الى ايدي الوزراء ثم انتقلت منها سنة ١١٥٦ الى ايدي الجنود. ولقد نال سلفي الاول من الثقة ما لم ينلهُ قائد قبلهُ وجرى خلفاؤهُ بعدهُ في خطتهِ اكثر من مئتي سنة وقد سرت انا في خطتهم ولكن مصالح البلاد لم تقُم ولم توْفَ الاحكام حقها ولذلك فاني اعترف بالاتضاع التام ان قصوري سبَّب المشاكل الحاضرة . ثم ان معاملاتنا مع الاجانب اتسعت رغمًا عنا ولا يسعنا ان يكون لنا سلطة عليها ما لم نستعن بقوة البلاد كلها . فاذا تغير النظام القديم ورُدَّت السلطة الى المجلس السلطاني وجُمع رجال الشورى من البلاد كلهم واعتمدت الحكومة على مشورتهم واذا اتحدنا كلنا قلبًا وقالبًا لحماية بلادنا امكننا ان نجاري امم الارض . وهذا يشمل كل ما يجب علينا نحو بلادنا"

وهذا الاعلان الصريح يوافق ما قالهُ الشوغن للسر هنري باركس ولسفير فرنسا وهو

" لقد ثبت لي منذ الخريف الماضي ان البلاد لا تفلح ما دامت السلطة مقسومة بيني وبين الامبراطور (امبراطور اليابان او الميكادو) لذلك اعلمتهُ اني تنازلت عما لي من السلطة رغبةً في خير البلاد على شرط ان يجتمع مجلس الوجهاء ويحكم كيف تدار شؤون البلاد في المستقبل ومن يديرها . وبفعلي هذا اغضيت عن مصلحتي الخصوصية وتركتُ السلطة التي تسلمتها من اسلافي في سبيل المصلحة العمومية فخرجت من ميدان النزاع بدلاً من ان اقاوم

القوة بالقوة . اما مَن هو ملك اليابان الحقيقي فهذه مسأَلة لا يختلف فيها اثنان من اليابانيين لان الامبراطور هو الملك الحقيقي

ولقد كان غرضي من اول الامر ان اجري حسب مشيئة الشعب فاذا شاء ان اتنازل عن حقوقي فانا اتنازل عنها رغبة في خير بلادي وليس لي غرض غير هذا وهو ان اتنازل عن حقوقي الموروثة من اسلافي بشرط ان يجتمع وجوه البلاد وعظماؤُها ويبحثوا في الامر بحثاً خالياً من الغرض ويعمل برأْي الاكثرية في اصلاح الحكومة والدستور"

فقضي الامر وفُصل الخلاف بين الميكادو والشوغن لا بحرب اهلية تمزق البلاد وتزيل ما فيها من الرمق بل بحب الوطن الذي يدعو الى تضحية المصلحة الخصوصية في سبيل المصلحة الوطنية

فقبل الميكادو استعفاء الشوغن واقام الوزراء وقلدهم شؤُون الدولة فكان اول شيءٍ فعلوهُ ان رفعوا اليهِ عريضة يقولون فيها

" اننا نخشى ان نكون سائرين في خطة الصينيين الذين توهموا انهم الشعب الوحيد الذي يستحق الاكرام وان الاجانب كلهم لا يستحقون الاَّ الاحتقار فتغلب الاجانب عليهم واذلوهم

" ويظهر لنا بعد امعان النظر انهُ يجب علينا كلنا رفيعنا ووضيعنا ان نتحد في فهم مطالب هذا العصر وفي وجوب العمل بما يصلح البلاد

" لقد كانت بلادنا حتى الآن منعزلة عن سائر البلدان وجاهلة ما في العالم من القوى ولم يكن لنا غرض الاَّ تجنب المشاق التي تنشأُ عن امتزاجنا بغيرنا فكنا نزيد تأَخرًا يوماً بعد يوم حتى صرنا في خطر من ان تتسلط علينا دولة اجنبية

" ولكن اذا مضينا الى البلدان الاجنبية ونظرنا الى ما فيها من الفوائد وقابلنا تقدمها المستمر . ونظام حكوماتها الجاري بحسب مقتضيات العقل . وكفاءة جنودها وسائر قواها الحربية . وكثرة الاقوات لشعوبها اذا قابلنا ذلك بما في بلادنا اتضحت لنا جليًّا اسباب التقدم والتأَخر

" ولا بد لنا من طرح التعصب الذي كان متسلطاً علينا حتى الآن اذا اردنا ان نردَّ مملكتنا الى مجدها السابق ونرفع مقامها في عيون الاجانب

" ونرجو ان يفتح رجال بلاطكم عيونهم ويتحدوا مع الذين دونهم ويتفقوا معهم على ما بهِ مصلحة المملكة ويستعينوا بالاجانب في ما هم ادرى منا بهِ فتتوطد اركان مملكتنا ابد الدهر.

ولنطرحنَّ جهلنا السابق الذي كان يحملنا على تلقيب الاجانب بالكلاب والجداء والبرابرة ونصلحنَّ رسوم البلاط التي اقتبسناها من الصينيين فنسمح لسفراء الدول بدخوله حسب الرسوم المتبعة في بلادهم. وليُعلَنْ ذلك في المملكة كلها حتى يعلم العامة كيف ينظرون الى هذه الامور. هذا ما نتوسل بهِ نعرضهُ بالاحترام والاتضاع"

ولقد كان من حظ اليابان ان الميكادو نفسهُ رأى الحاجة ماسَّة الى الاصلاح. ولو كان متوسط المدارك او لم يحط بهِ رجال واسعو الخبرة بعيدو النظر في العواقب لكان اكتفى باسترجاع السلطة التي فقدها اسلافهُ منذ قرون كثيرة وظلَّ الى الآن مستقلاً مستبدًّا او لاكتفى بتحصين بلادهِ حتى تعود الى العزلة التي الفها شعبها وتطرد الاجانب منها. ولكن كان من حظ اليابان ان ملكها هتسو هيتو وافق المصلحين قلبًا وقالبًا واقسم امام رجالهِ في السابع عشر من شهر ابريل سنة ١٨٦٩ انهُ يفعل الامور الخمسة التالية وهي

اولاً ان تنشأ في البلاد جمعية عمومية ويكون الحكم في الامور حسب الرأي العام

ثانيًا ان تدرَّس مبادئ العلوم الاجتماعية والادارية يدرسها الشعب كلهُ خاصتهُ وعامتهُ

ثالثًا ان يُسهل لكل احد ان يعمل كل ما هو صالح وجائز

رابعًا ان تلغى كل الرسوم والشعائر القديمة التي لا تنطبق على قوانين العقل ويجرى في ادارة البلاد على حسب النواميس الطبيعيَّة والاجتماعيَّة

خامسًا ان يفتَّش عن العلم والحكمة في كل اقطار المسكونة لكي يُقتبسا ويجعلا اساسًا لبناء السلطنة

فوقف موقف المصلح واقسم ان يسير بامتهِ في اوسع طرق الاصلاح وبرَّ في قسمهِ ومن ثمَّ جعلت الامة كلها تتسابق الى الاصلاح المطلوب وتتنافس فيهِ وغرضها كلها واحد — توحيد السلطة وترقية المملكة

والناظر في احوال اليابان حينئذٍ يرى فيها شوغنًا تخلَّى عن منصبهِ الرفيع وتنازل عن حقوقهِ الموروثة وسلَّم مقاليد البلاد للميكادو. ويرى الميكادو ترك تقاليد آبائهِ واجدادهِ وتنازل عن عرش التألُّه الذي كانت رعيتهُ تحلهُ فيهِ وعن الحكم المطلق الذي كان لاسلافهِ. والامران على عظمها لا يستحيلان لانهما متوقفان على ارادة رجلين ولكن النظام الاقطاعي كان راسخًا في البلاد كلها فكانت اقسامًا كثيرة وعلى كل قسم منها امير او رئيس مستقل باعوانهِ وجنودهِ فهل كان في الامكان نزع السلطنة من ايدي هؤلاء الامراء والرؤساء وتوحيدها في شخص الميكادو ومجلس الامة. لكن ما تقدَّم من حب اليابانيين لوطنهم سهَّل عليهم كل عسير فقام

داميو اكدزوكي رئيس الكوجيشو (اي مجلس رؤساء القبائل) ورفع خطاباً الى الميكادو قال فيهِ

" لقد استخدم الامراء بلادهم ورجالهم لاغراضهم واختلفت الشرائع والقوانين التي يسوسون اقطاعاتهم بها حسب اختلافهم

" ولقد سُمُّوا سياج الدولة وهم سبب انقسامها وانحطاطها فكيف تجاري بلادنا الصغيرة سائر البلدان التي وراء البحر وكيف تفلح وتنجح

" من كان منا اميناً لبلادهِ محبًّا لوطنهِ ساعياً في رفع شأنهِ وتعزيز اركانهِ فليفعلْ ما يأتي

(١) يرد الى الامبراطور الاقطاعة التي اخذها ويعود عضواً في بلاد دستورية غير منقسمة

(٢) يترك القابهُ كلها ويكتفي بلقب كوازوكو (وجيه) وبعقار يقوم بمعيشتهِ

(٣) يترك ضباط جنود القبائل القابهم ويسمون انفسهم ضباط الامبراطور فتعطى لهم رواتب توازي املاكهم

ليُعملْ بهذه الامور الثلاثة فتقوم دعائم السلطنة على اسس راسخة "

فجعل الامراء والرؤساء يتبارون في نزع القابهم وتسليم املاكهم واموالهم للميكادو وكان عددهؤُلاء الامراء والرؤساء ٢٥٨ فتنازلوا كلهم عن املاكهم وكانت واسعة كثيرة الريع حتى ان املاك ١١٨ منهم بلغ ريعها السنوي من الارز ما يساوي ٢٤ مليوناً من الجنيهات فمتوسط دخل كل واحد منهم مئتا الف جنيه في السنة . وفي التاسع والعشرين من اغسطس سنة ١٨٧١ صدر امر ملكي يقال فيهِ " أُلغي النظام الاقطاعي وأُقيم بدلاً منهُ ولاة لحفظ الامن "

وكان الجنود ورؤساؤُهم يتقاضون ما يساوي مليوني جنيه كل سنة فتنازلوا عنها واكتفوا بمعاش طفيف يسد الرمق واضطرت الحكومة الجديدة ان تستدين من شعبها اربعين مليوناً من الجنيهات لكي يعطى منها المعاشات والرواتب للامراء والرؤساء والجنود الذين تنازلوا عن كل ممتلكاتهم . وتُوّج هذا الانقلاب العظيم بالدستور الذي منحهُ الميكادو لبلادهِ سنة ١٨٨١ واوجب العمل بهِ من سنة ١٨٩٠ . وسنعود الى تفصيل ذلك في فرصة أُخرى

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المرأة في كوريا

ان ما يعلَم عن نساء كوريا اقل ممَّا يعلم عن المرأة في كل بلاد أُخرى ولا غرابة في ذلك لانهُ لم يضيَّق الحجاب عليها في بلد من البلدان كما ضُيّق في تلك البلاد فلا يراها احد من الذكور غير زوجها . وكل ما يُعلم من امرها الآن منقول عن امرأة يابانية دخلت حرم النساء في كوريا ووصفت احوال معيشتهنَّ فيهِ

ويستنتج ممَّا كتبتهُ انهُ اذا حانت ولادة المرأة اعتنى بها زوجها اعتناء خاصًّا وربط حبلاً على باب بيتهِ فاذا ولد لهُ ذكر ربط بالحبل ورقة وفحمةً واذا وُلد لهُ انثى لم يربط بهِ شيئًا

ولا تُعَد البنات بين الاولاد فاذا سئل رجل عن عدد اولادهِ عدَّ الذكور منهم ولم يعد الاناث ولعلَّ تخصيص الولد في القطر المصري بالذكر دون الانثى ناتج عن عادة مثل هذه لان العربية لا تقتضي ذلك ولا هو كذلك في بلاد الشام حيث يُطلَق الولد على الذكر والانثى كما في اللغة

ويكون للبنت اسم خاص بها في كوريا الى ان تبلغ السابعة من عمرها فيلغى وتصير تسمَّى باسم ابيها او اخيها او زوجها فيقال ابنة فلان او اخت فلان او زوجة فلان

ويعلَّم البنات والصبيان في مدرسة واحدة الى ان يبلغوا الثامنة من العمر فيُفصَل بينهم ويتوسَّع في تعليم الصبيان فيعلَّمون العلوم اللازمة لما سيتعاطونهُ من الاعمال واما البنات فيقتصر على تعليمهنَّ بعض القواعد الادبية والرسوم الدينية اللازمة في عبادة الاسلاف واذا كنَّ من الفقراء اقتصر على تعليمهنَّ الخياطة والحبك وسائر اشغال الابرة . ونساء الفقراء بارعات في في ذلك كما يظهر مما في ثياب اليابانيين من التطريز

والابيض علامة الحداد عند اليابانيين فاذا مات لهم قريب لبسوا البياض عليهِ ثلاث سنوات متوالية وكذلك اذا مات ملكهم واتفق ان مات ثلاثة من ملوكهم في عشر سنوات فاضطروا ان يلبسوا البياض مدة السنوات العشر فصاروا يقتصرون عليهِ اقتصاداً في النفقة

والنساء يخطن الثياب ويفتقنها كلما اردن غسلها ثم يخطنها ثانية وهي من الحرير فيخبطنها بالمخايط حين غسلها لكي يظهر لمعانها

والذكر يبلغ قبل الانثى في كوريا وهذا من الغرائب . ولذلك تكون المرأة اكبر من زوجها سنًّا

ويجرون في الزيجة على هذه الطريقة . اذا اختار الشاب فتاة ليتزوج بها ارسل يخطبها الى ابيها كتابةً بيد رجل من اصدقائهِ فاذا قُبل طلبهُ جاءهُ الجواب كتابة واتفق الفريقان على تعيين يوم العرس بحساب الطوالع فيحسبون طالع الزوج وطالع الزوجة من ساعتي ميلاديهما ويستخرجون اليوم الذي يصلح ان يقترنا فيهِ

وفي اليوم المعين يُحتفل في بيت ابي العروس ويأتي العريس اليهِ راكبًا مع والدهِ وينزل عند مدخل البيت ويمشي ووجههُ متجه الى الشمال حيث يراد اقامة الاحتفال بالعرس ويجثو هناك على ركبتيهِ ويقدم الهدية الى العروس وهي بطة برية رمزًا الى امانة الزوجة لزوجها . وحكاية ذلك عندهم ان صيَّادًا اصطاد مرة بطة ذكرًا فظلت الانثى تتردد على المكان الذي اصطيد فيهِ ذكرها الى ان قضت نحبها . ويتعاهد الفريقان بقولهما ان شعرنا اسود الآن كريش البط البري ولكننا سنبقى محتفظين بعهد الامانة كلٌّ منا للاخر ولو ابيضَّ وصار كجذور البصل

وتلبس العروس يومئذٍ لبس النساء الكوريات وتبيض وجهها وتزجج حاجبيها وتعصفر شفتيها وتضع في رأسها ثلاثة دبابيس عليها صور طائر الجنة من الذهب وتلبس حلة وتضع على كتفيها وشاحًا احمر وتتمنطق بمنطقة بيضاء وتلبس كفين ابيضين وجوربين ابيضين وحذاء من الحرير الاحمر او الازرق او الاخضر . وتنزل عن سلم بيت ابيها ومعها ثلاث نساء ممسكات بها وتمشي الى مكان الاحتفال ووجهها محجوب بمروحة وتلتفت الى الشرق وتنحني امام العريس فيقابلها بالانحناء . وتملا لهما كاسان خمرًا وتقدمان لهما فيمتصُّ كلٌّ منهما مصَّة من كاسهِ فيتم عقد الزيجة . ثم يدعى العريس وابوهُ الى وليمة يولمها لهما ابو العروس وذووهُ ويعود العريس الى بيتهِ ولا ترسل اليهِ العروس الاَّ في يوم آخر من الشهر يوافق طالعهُ يوم الاقتران وتتحجَّب من ذلك اليوم فلا يعود يراها رجل الاَّ زوجها

وكانت العادة ان تقفل الابواب في العشاء ولا سيما في سيول ويدخل الرجال بيوتهم ولا يعودون يخرجون منها الاَّ في الصباح لان نساء الاغنياء كن يخرجن ليلاً ويزرن بعضهن بعضًا لكن لما ضعفت الاحكام صار اللصوص يترصدون النساء و يسلبوهنَّ حلاهنَّ فلم يعدنَ يخرجن ليلاً . والآن يخرج بعض النساء ليلاً مع رجالهنَّ وهنَّ متحجبات تمام التحجب .

ونساء الفقراء يخرجن في النهار ايضاً بعض الاحيان ولكنهنَّ يكنَّ متحجبات ايضاً . انتهى مقتطفاً من مقالة في مجلة القرن التاسع عشر وما بعدهُ

هذا وبلاد كوريا من اشد البلدان خصباً واوفرها غنى بالمعادن واكثرها مرافئ امينة للسفن وسكانها اصحاء الابدان . وقد قال الذين وقفوا على احوالها ان لتأخرها سببين لا اكثر حالة المرأة فيها وحالة الصناعة ولا تفلح بلاد والمرأة والصناعة محتقرتان فيها مهما كان غناها الطبيعي وافراً

المرأة في استراليا

رأينا بعد كتابة ما تقدم عن حال المرأة في بلاد كوريا مقالة للسيدة ڤيدا جلدستين احدى زعيمات النساء في استراليا (البلاد التي عمرَّها الانكليز بالامس ففاقت بلدان الارض عمراناً على قلة سكانها) وصفت فيها قيام النساء في تلك البلاد وطلبهنَّ الحق في انتخاب النواب وانتخابهنَّ نواباً عن الشعب مع الرجال وقالت ان الغرض من وجود النواب في مجلس الامة المدافعة عن الحقوق والمصالح كلُّ نائب يدافع عن حقوق منتخبيهِ ومصالحهم لئلا تضيع مع مصالح غيرهم ويشترط ان يكون النائب عارفاً بهذه المصالح حتى يدافع عنها والاولاد نصف الشعب والنساء نصف النصف الآخر ولا يعلم مصالحهم ومصالحهنَّ غير النساء ولذلك يجب ان يكون من النساء نواب في مجلس النواب لكي يدافعن عن مصالح النساء والاولاد . وقد زادت على ذلك فقالت ان الرجل الذي يعجز عن تنظيم بيتهِ لا ينتظر منهُ ان ينظم بيت الامة التنظيم الواجب فلو دخلت النساء مجالس النواب لانتظمت امورها وامور البلاد كلها . انظر ما يفعلهُ الرجل في بيتهِ ومكتبهِ فانهُ يخرج من الحمَّام والماء فيهِ الى الكاحل ويرمي ثيابهُ في غرفتهِ كيفما اتفق ويترك المواسي والواح الصابون والشعر المحلوق والمناشف في غير اماكنها وتجد الاوراق والاقلام والمحابر على مكتبهِ مختلطة اختلاط الحابل بالنابل لا نظام ولا ترتيب فهو كذلك في بيتهِ ومكتبهِ وهو كذلك في ادارة الحكومة يهتم بالكبائر ويترك الصغائر ولا تستقيم امورهُ ما لم تتبعهُ زوجتهُ وترتب لهُ ما شوشهُ . وهي تستطيع ان تفعل ذلك في شؤون الحكومة اذ أُبيح لها الدخول مع الرجل فيها وتفعل ما هو اعظم منهُ لانها تربي اولادها على تنظيم امور الحكومة وسياسة البلاد

ويظهر لنا مما كتبتهُ هذه السيدة ومما نطالعهُ يوماً بعد يوم في مجلات النساء الاميركيات انهُ رسخ في عقول النساء ان المرأة التي تستطيع ان تدير مهام البيت لا يصعب عليها ان تدير

مهام المملكة وان الرجل الذي يعجز عن ادارة مهام بيتهِ لا يُنتَظر منهُ ان يدير مهام مملكة . وهنَّ يجاهرن بذلك الآن ولا يمنع نجاحهنَّ الاَّ كونهنَّ غير مجمعات عليهِ فان المرأة شديدة الغيرة فيصعب عليها ان تسلم قيادها لاختها او لجارتها ويستحيل ان يكون النساء كلهنَّ منتخبات ونائبات ويصعب عليهن ان يتنازلن بعضنَّ للبعض الآخر عن هذا الحق . لكن الكاتبة المشار اليها آنفاً تظن ان ذلك لا يطول ولا يمضي وقت طويل حتى تصير المرأة تتساهل لاختها وتفضل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة وكذلك يرى بعض النساء ان في خدمة البلاد مشقة كبيرة فيحجمن عنها تخلصاً منها وتفضيلاً للراحة على التعب ولكن اذا قامت بينهنَّ امرأة وبينت بالحجج والادلة ان مصلحة البلاد تقتضي خدمتهنَّ لها سلمن بذلك

وأُريد انتخاب الكاتبة لمجلس النواب الاسترالي وكان المرشحون للانتخاب ثمانية عشر والاصوات اللازمة للانتخاب ٨٥٣٨٧ صوتاً فنالت ٥١٤٩٧ صوتاً وزادت اصواتها على اصوات رجل كان وزيرًا وعلى اصوات رجل آخر كان قاضياً مدة ٢٦ سنة فان الاول نال ٢٤٣٢٧ صوتاً والثاني ٣٢٤٣٦ صوتاً

والبلدان الثلاث التي تعطي حق الانتخاب للنساء وهي اميركا(الولايات المتحدة)واستراليا وزيلندا الحديدة قد فاقت سائر البلدان ولا عجب اذا رأى ابناء هذا القرن نصف النوَّاب في مجالس النواب من النساء . هذا في البلدان التي اراد الله السبق لها اما البلدان التي لم يرَد لها الاَّ الخراب فتبقى نساؤُها داخل الحجاب

لعب الاولاد

اللعب لازم للاولاد لتسليتهم وتقوية ابدانهم . وقد تقوّي الالعاب عقولهم كما تقوي ابدانهم فيباح لهم الوثب والركض والصراخ وكل ما يقوي اعضاء الجسم الظاهرة والباطنة كما يباح لهم ان يلعبوا الالعاب التي تمرّن قواهم العقلية وتروضها وتدربهم على تحكيم الحركات كالرماية واللعب بالكعاب والاكر والدوَّامات . ولكن قد لا يقتصر والدوهم واقاربهم على اعطائهم هذه اللعب بل يعطونهم لعباً اخرى تقلق السكان بصوتها كالطبول والزمور وما اشبه ويسرُّ الولد بها لانهُ يسر بكل ما صوتهُ جهوري ولكنهُ لا يستفيد منها غير اعتياد الاصوات المزعجة واحتقار راحة الناس فحذار من اعطاء الولد لعبةً تندم بعد قليل على اعطائهِ اياها . ومن هذا القبيل ما قد يأول الى جَرْح يديهِ وحَرْق ثيابهِ كالسكاكين والالعاب النارية . اما الالعاب التي تقتضي حركة كثيرة فكلها مسلٍّ وكلها نافع

تعليم البنات في اميركا

في الولايات المتحدة الاميركية ٣٣٥ مدرسة كلية حيث يتعلم الفتيان والفتيات معاً وفيها ١٥٠ مدرسة كلية للبنات خاصة و٢٢ الف بنت يتعلمنَّ في المدارس الصناعية و١٥ الف بنت في المدارس الكلية . الاَّ ان البنات الاميركيات تطرفن جدًّا في تشبههنَّ بالصبيان ويقول الباحثون في امرهنَّ ان هذا التشبه لا يعود بالنفع على البلاد بنوع عام . وكذلك انتظام البنات في سلك العمال في المعامل لم يأتِ بالفائدة المطلوبة بل اتى بالضرر لانهُ رخص اجور العمَّال وازال الانتظام من المعامل فان الفتاة اذا تزوجت تركت العمل حالاً كما هو جارٍ في مدارس البنات في هذا القطر فقد اتفق ان بعض المعلمات اللواتي أُتي بهنَّ من بلاد الانكليز للتعليم في مدارس الحكومة خُطبنَ على الطريق فتركن صناعة التعليم . وكل تعليم يقصد بهِ صرف المرأة عن ادارة البيت وولادة الاولاد لا يفيد البلاد بل يضرها ويأول الى انقراض النسل

اختراع القصص

يأتيك الولد احيانًا بقصةً غريبة يقصها عن اترابهِ من اولاد المدرسة اذا بحثت عنها وجدتها مختلقة من اولها الى آخرها او وجدتَ الصدق فيها حبَّة والكذب قبَّة فاذا أُهمل امر ذلك الولد شبَّ على الكذب واختراع الاكاذيب وحب التلفيق ولاسيما اذا كان ابنةً فعلى الوالدة ان تنتبه لكل خبر يخبرها بهِ اولادها وكل قصة يقصونها عليها حتى اذا كان في كلامهم اقل كذب او اختلاق او مبالغة نهتهم عنهُ وبيَّنت لهم ضررهُ . ولا تفلح في ذلك اذا نهتهم عن خُلُق وفيها ضدهُ فيجب عليها ان تحترس من ان يكون في كلامها شيءٌ مما تنهاهم عنهُ والاَّ اهملوا وصاياها وشبُّوا على الاختلاق ولا يكفي ان تنهاهم عن اختلاق الاخبار والمبالغة فيها بل يجب ان تنهاهم ايضاً عن ذكر عيوب الناس والاشارة اليها فانك اذا لم تستطع ان تُصلح عيب غيرك فلا تضرَّهُ بتشهيرهِ وحسبك ان ترى ذلك العيب وتبتعد عن مثلهِ

قدوة الوالدين

كثيرًا ما تجد والدًا يبذل الجهد في الكسب والتقتير على نفسهِ لكي يجمع لاولادهِ ثروةً طائلة . يحرم نفسهُ كل لذة ويعيش في الفقر لكي يغني اولادهُ وفي التعب لكي يريحهم ومع ذلك تراهم لا يكرمونهُ ولا يحبونهُ بل يتوقعون يوم وفاتهِ حتى يرثوا الاموال التي جمعها لهم . وقد

بلغ العقوق من بعضهم ان قتلوا والدهم حتى يرثوا امواله ُ باسرع ما يمكن . فهل ذلك لفساد في طباع الاولاد ولؤم في اخلاقهم او هو ناتج عن خطإٍ ارتكبهُ والدهم . الغالب ان يكون الثاني هو السبب لا الاول لان الرجل الذي يسهل عليهِ ان يحرم نفسهُ كلَّ ملذة لاجل اولادهِ لا ينتظر ان يورث اولادهُ خلق الاثرة . اما الخطأ فعلاقتهُ بالنتيجة التي نتجت اقرب لان الوالد قد يضحي نفسهُ لاجل اولادهِ ولا يعيش لهم اي انهُ يعيش امامهم عيشة الطمع والاعتداء على حقوق الغير ومحاولة الكسب بطرق غير محللة ولا يعيش عيشة الفضيلة والانصاف والترفع عن الدنايا فلا عجب اذا اقتبسوا الاخلاق الدنيئة منهُ وحسبوا وجودهُ حائلاً بينهم وبين المال الذي جمعهُ لهم . والد مثل هذا لا يلومنَّ الاَّ نفسهُ اذا رأى العقوق من اولادهِ

وما يطلق على الوالد يُطلق على الوالدة ايضاً فانها اذا رأت من اولادها غير ما تريدهُ فيهم فلتفتش عن ذلك في اخلاقها وفي اسلوب تربيتها لهم تجد ان العلَّة الكبرى منها لا منهم فاذا اصلحت نفسها وكانت خير قدوة لهم اقتدوا بها وصاروا كما تريد

باب الزراعة

زرعة القطن المصري في اميركا

ذكرنا غير مرة ان الحكومة الاميركية اهتمت باخذ تقاوي القطن من هذا القطر وزرعها في بلادها فنبت القطن فيها ولكنهُ جاء دون ما هو عليهِ في القطر المصري من حيث مقدار المحصول وجودة القطن . لكن الاميركيين لم يقنطوا بل اعادوا التجارب مراراً وقد وقفنا الآن على خلاصة هذه التجارب وجاء فيها ما تعريبهُ " ان القطن المصري يشبه قطن السي ايلند من اكثر الوجوه ويفرق عنهُ في ان شعرتهُ اخشن من شعرة السي ايلند واكثر منها تجعُّداً . واجود التقاوي التي أُتي بها من القطر المصري وزرعت في اميركا نتج منها في السنة الاولى اشجار عالية جدًّا قليلة اللوز وقد جرب ذلك في تقاوي الاشموني والعباسي والميت عفيف وغوردون باشا والينوفتش والستام فكانت النتيجة غير مرضية مطلقاً ورسخ في اذهان المزارعين ان القطن المصري لا يجود في اميركا

وقد زرع الكاتب بعض الاشجار من القطن الاشموني سنة ١٨٩٩ فكبرت كثيرًا وتفرَّعت ولكنها لم تحمل الاَّ قليلاً من اللوز وصارت شعرتها منبسطة قليلة التجعُّد وزادت بياضًا فاختار الاشجار الكثيرة اللوز ونظنها اشبه بقطن الاشموني واخذ التقاوي منها وزرعها سنة ١٩٠٠ وفعل مثل ذلك سنة ١٩٠١ و ١٩٠٢ فبلغت غلة الفدان في السنة الاخيرة ٤٧٩ رطلاً من القطن الشعر وكانت شعرة هذا القطن مثل شعرة القطن الاشموني تمامًا واطول منها قليلاً

وزرع القطن الميت عفيف كذلك وكرّر زرعهُ وانتقاء التقاوي كما كرّر زرع الاشموني وانتقاء تقاويهِ فبلغت غلة الفدان اخيرًا من القطن الميت عفيف ٣٤٦ رطلاً فقط من القطن الشعر" انتهى

والظاهر ان هذا غاية ما وصلت اليهِ زراعة القطن المصري في اميركا · فان كان الامر كذلك فلا يجود القطن المصري هناك كما يجود في هذا القطر لان محصول الفدان يبلغ هنا ثمانية قناطير او اكثر

انواع القطن

يعرف للقطن اربعون نوعًا مختلفًا بعضها انجم صغيرة لا يزيد ارتفاعها على قدم و بعضها اشجار كبيرة يبلغ ارتفاعها عشرين قدمًا وتختلف ايضًا في شكل ورقها وحجمهِ وفي شكل زهرها ولونهِ وفي طول قطنها ودقتهِ ومتانتهِ ولونهِ ولمعانهِ وتجعدهِ وخلوهِ من العقد · ومزايا القطن واضحة جدًّا حتى ان الخبير بها يعلمها من مجرد لمسهِ القطن ولو في الظلام

والقطن سلولوس صرف يشبه النشا في تركيبهِ الكيماوي وكل شعرة من شعرهِ قدَّة رقيقة منحنية كاللولب ولذلك يشتبك بعضهُ ببعض وقت غزلهِ فتكون خيوطهُ متينة

القطن السي ايلند

في الرطل من القطن الاميركي المعروف بالسي ايلند اكثر من ثلاثة عشر مليون شعرة · ولدقة هذا الشعر اذا وضعت ثماني مئة شعرة منهُ الواحدة الى جانب الاخرى لم يزد عرضها على سنتمتر واحد · وقد غزل من الرطل الواحد خيط طولهُ ١٠٢٦ ميلاً

ثمن القطن السي ايلند

بلغ ثمن القنطار من القطن السي ايلند في العام الماضي من ٥٢٧ غرشًا الى ٨٥٣ غرشًا

العلف من الكسب

لقد ثبت بالامتحان انهُ اذا مزج عَلَف المواشي بكسب بزر القطن سمنت وزاد لبنها وسمنها وكان مربو المواشي يطعمونها البزر قبل عصر الزيت منهُ اما نيئًا او محمصًا او مهبلاً او مسلوقًا ولكن لما صار الزيت يعصر من البزر صاروا يكتفون باطعام المواشي قشر البزر ولبهُ بعد عصر الزيت منهُ وهو المعروف بالكسب

لكن الكسب كثير الغذاء فلا يُطعم وحده ُ بل يمزج بغيرهِ من العلف كالدريس والتبن فاذا اريد ان تبقى الماشية على حالها فيكفي ان يضاف رطل من الكسب الى كل سبعة ارطال من قشر البزر او من الدريس واذا اريد تسمينها للذبح يضاف رطل من الكسب الى كل رطلين من الدريس او نحوهِ . والكسب يزيد لبن البقر كما يزيد دهنها

دود القطن

شاع في اواسط هذا الشهر (يوليو) ان دود القطن ظهر في بعض الزراعات في هذا القطر . والدود معروف ولكن الاطوار التي يتقلب عليها قد يجهلها بعض المزارعين فلا بأس باعادة وصفها فنقول

ان دود القطن الذي يأكل ورقهُ يتقلب على اربعة اطوار فيكون في اول امرهِ فراشًا يتزاوج ويبيض بيضهُ على اسفل الورقة من ورق القطن . والبيض صغير جدًّا كحبوب الرمل والغالب ان يكون مجموعًا كلهُ معًا وقد يكون بعضهُ متفرقًا ويكون معهُ مادة شعرية رمادية ويخرج من هذا البيض دود صغير اسود طول الدودة منهُ حين خروجها من البيضة نحو مِلمترين او اقل وحينما يخرج هذا الدود من البيض يشرع يأكل المادة الخضراء من الورقة ويكبر سريعًا ومتى كبر يصير ينزل عن الشجرة وقت حر الظهيرة ويغور في التراب هربًا من الحر ومتى بلغ اشدَّهُ يستحيل الى زيز وهو مطمور في التراب ويصير الزيز فراشةً تطير وتتزاوج وتبيض على الورق وهلمَّ جرًّا

وقد ظهر بالتجارب ان اسهل الوسائل وافعلها لاتلاف هذا الدود تنقية الورق الذي عليهِ البيض وحرقهُ واذا قصرت هذه الواسطة عن المطلوب وظهر الدود على شجر القطن فخير الوسائل لاماتتهِ رش الاشجار بمسحوق اخضر باريس وهو سام جدًّا فالقليل منهُ يميت الدود . واهالي اميركا يضعون هذا المسحوق في كيس من الخيش ويربطونهُ بعصا طويلة ويمرون بين اشجار القطن

ويهزونهُ فوقها فيتنخل منهُ على الاشجار ما يكفي لاماتة الدود الذي عليها · وقد يمزجون اخضر باريس بالجير الناعم رطلاً من الاول بستة ارطال من الثاني . واذا لم يوجد اخضر باريس فينوب عنهُ زرنيخات الرصاص يذاب الرطل منهُ بسبعين رطلاً من الماء وترش بهِ اشجار القطن بمضخة تلقيهِ على الاوراق نقطًا صغيرة جدًّا ويقال انهُ افعل من اخضر باريس

وقد يذاب اخضر باريس بالماء فيذاب الرطل منهُ بمئة وخمسين رطلاً من الماء ويضاف اليها رطلان من الجير او يمزج الرطل منهُ بمئة رطل من الماء وترش بهِ اشجار القطن رشًّا بمضخة كما تقدَّم

حشرات دود القطن

لا يخفى ان الحشرات تسطو احيانًا على المزروعات وتكثر عليها حتى يظن انها ستتلفها كلها ولا تبقي ولا تذر ثم تزول من نفسها من غير سبب ظاهر كانها زالت بالسحر والحقيقة ان لكل شيء آفةً من جنسهِ فكما تسطو الحشرات على النباتات تسطو عليها حشرات اخرى فتأْكلها او تمرضها وتميتها . وقد اهتم علماء الحشرات منذ عهد غير بعيد باكتشاف الحشرات التي تسطو على دود القطن في اميركا فوجدوا بعضها وهم يربون هذه الحشرات الآن ويطلقونها في الاماكن التي ينتشر فيها دود القطن فتفتك بهِ ويقال انها تفتك بسبعين في المئة منهُ وكل العلاجات الكيماوية تميت ثلاثين في المئة فقط · فعسى ان تهتم الحكومة المصرية او الجمعية الزراعية بالبحث عن الحشرات التي تميت دود القطن وتربيها في هذا القطر

النباتات الشتوية

ما دام القطن يجود في اطيان القطر المصري وما دام ثمنهُ غاليًا فلا باب للتفكير في زراعة اخرى غيرهُ مع ما يتعاقب الآن على الارض من المزروعات كالقمح والذرة والفول والبرسيم ولكن اذا كثر استعمال المحاريث البخارية فقل استخدام المواشي وقلَّ زرع البرسيم واذا رخص ثمن القطن كثيرًا فلا بد من توجيه النظر الى مزروعات اخرى تزرع بها بعض الاطيان احيانًا ومن ذلك المزروعات الشتوية على انواعها لانها تستعمل طعامًا ويستخرج منها النشا وسوقهُ رائجة دائمًا · ومن هذه المزروعات

١ — اليام

وهو نبات في جذورهِ ثآليل كالبطاطس وهذه الثآليل كثيرة المادة النشوية وتؤْكل مسلوقة او يستخرج النشا منها كما يستخرج من الاروروط · ونشاها اجود من نشا الاروروط

ويمكن تقطيع الثآليل وتجفيفها وطحنها فيكون فيها دقيق جيد . ويبلغ النشا ١٥ في المئة من الثآليل . وزراعة اليام سهلة جدًّا ويبلغ محصول الفدان نحو مئة قنطار كل سنة وهو مغذٍ اكثر من البطاطس

٢ — البطاطا الحلوة

وهي نبات معروف في هذا القطر يزرع في مصر حول حديقة الجيزة وتبلغ غلَّة الفدان منهُ مئة قنطار او اكثر الى مئة وخمسين قنطارًا ويختلف مقدار النشا فيهِ من ٢٢ في المئة الى ٢٨ في المئة فاذا اخذنا المتوسط وهو ٢٥ في المئة وحسبنا محصول الفدان مئة قنطار فقط فيخرج من الفدان الواحد ٢٥ قنطارًا من النشا

٣ — الكسافا

الكسافا وهي نوعان الحلوة والمرَّة . والمرَّة اكثر نشاء من الحلوة فانهُ يبلغ فيها ٢٠ الى ٣٠ في المئة وقد وصفنا هذا البنات في المجلد السابع والعشرين من المقتطف صفحة ٦٠٤

٤ — القلقاس

القلقاس نبات معروف يزرع كثيرًا في هذا القطر طعامًا وتبلغ غلة الفدان منهُ ثلاثين او اربعين جنيهًا ولا يكثر ارباب الزراعة من زراعتهِ لصعوبة خدمتهِ ولان مقطوعيتهُ محدودة لانهُ لا يستعمل الاَّ طعامًا فاذا استعمل لاستخراج النشا امكن التوسع في زراعتهِ جدًّا

٥ — الارورروط

جُرّبت زراعتهُ في اراضي المدرسة الزراعية بالجيزة . واستخراج النشا منهُ سهل لكنهُ يقتضي غسلاً كثيرًا وقد وصفنا كيفية زراعتهِ غير مرة

٦ — الموز

الموز نبات معروف وهو كثير النشا قبل ان ينضج ويتحول نشاهُ الى سكَّر ومنهُ نوع كبير الثمر لا يحلو كثيرًا لكنهُ كثير النشا جدًّا وكثير الغذاء ايضًا فيبلغ مقدار النشاء فيهِ ٢٢ في المئة اذا كان طريًّا و٥٣ في المئة اذا كان جافًّا لكن استخراج النشا من الموز صعب لسرعة اختمارهِ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهرٍ آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) المشروبات الروحية

السنطة . فؤَاد افندي سليم

يقال ان الجعة (البيرا) ممزوجة بكمية قليلة من الافيون فهل ذلك صحيح

ج كلاَّ ولا داعي لمزجها بالافيون ولا يحتمل انهم يفعلون ذلك من باب تجاري ولكن ظهر بالامتحان ان في بعض انواع البيرة قليلاً من الزرنيخ يأتيها عرضاً من الحامض الكبريتيك الذي يستعمل احياناً لتحويل سكرها

ومنهُ . هل الاكثار من شرب الجعة مضر او مفيد

ج مضرٌّ مثل الاكثار من كل شيءٍ حتى من النافع

ومنهُ . ما هي المشروبات التي يزيد ضررها على ضرر غيرها

ج ان العنصر الضار في المشروبات الروحية هو الالكحول فكلما زاد فيها زاد ضررها وهو كثير في الكنياك او البرندي والعرقي وقليل في البيرا ومتوسط في الخمر ولا فائدة منها كلها الاَّ اذا وصفها الطبيب في بعض الاحوال المرضية وضررها اكيد ولاسيما الكثيرة الالكحول منها

ومنهُ . هل الاكثار من شرب النبيذ العتيق يزيد نمو الدم كما يقولون

ج في النبيذ وفي كل الاشربة الروحية شيءٌ من الغذاء للجسم ولكن الغذاء في كاس الخمر ليس اكثر من الغذاء في لقمة الخبز وثمن الكاس اضعاف ثمن اللقمة

(٢) كثرة النوم

ومنهُ . لي صديق اذا نام استغرق في سبات عميق وتتجاوز مدة نومهِ احياناً احدى عشرة ساعة اذا سهر الى ما بعد نصف الليل فهل ذلك مضر بصحتهِ . وهل هو مصاب باحد الامراض

ج النوم الكثير لا يضرُّ بالصحَّة ولكنهُ يضيع الوقت على غير فائدة فضررهُ ادبي لا صحي ولا تدلُّ كثرة النوم هذه على وجود مرض غير مرض الكسل والخمول اذا صحَّ ان نسميهما مرضاً

---

(٣) الشعر والفلسفة

نيو يورك . متري افندي نجار . هل تجتمع موهبتا الشعر والفلسفة معاً اي هل يمكن ان ينبغ شخص واحد في الشعر والفلسفة في وقت واحد

ج انما لا نرى مانعاً يمنع اجتماعهما فقد كان ابو العلاء المعري شاعراً وفيلسوفاً كما يظهر من اشعارهِ واقوالهِ المحفوظة

(٤) عدد الناطقين بالعربية

ومنهُ . اختلف الجغرافيون والمؤرخون في تقدير عدد الناطقين بالعربية فما هو اقرب تقدير الى الحقيقة

ج ان البلدان التي يتكلم اهاليها العربية كمراكش و بلاد العرب و بلاد السودان لا يعرف عدد سكانها فاهالي مراكش مثلاً يختلف تقديرهم بين ٤ ملايين و١٢ مليوناً واهالي بلاد العرب بين خمسة ملايين وعشرة ملايين واهالي السودان وما يليهِ بين عشرة ملايين وعشرين مليوناً ولا يعلم بالتحقيق الاَّ عدد اهالي القطر المصري واهالي تونس والجزائر ولعل المتكلمين بالعربية كلهم لا يقلون عن اربعين مليوناً ولا يزيدون على ستين

(٥) اجود الصابون

ومنهُ . ما هو افضل نوع من الصابون لغسل الرأس وتليين الشعر

ج . ان اجود الصابون ما قلت فيهِ المادة القلوية ولكن من الشعر ما تكون المادة الدهنية كثيرة فيهِ ومنهُ ما تكون هذه المادة قليلة فان كانت كثيرة فلا بأس بغسلهِ بصابون كثير المادة القلوية او سائل فيهِ نشادر واذا كانت المادة الزيتية قليلة فيهِ فلا يحسن غسلهُ بصابون كثير المادة القلوية . والصابون الذي تضعهُ في فمك فتشعر بطعم حرّيف هو كثير المادة القلوية

(٦) الهبرية

ومنهُ . ما افضل واسطة لازالة القشرة من الرأس

ج ان اسباب القشرة (الهبرية) مختلفة اكبرها اهمال غسل الرأس وقد تحدث من استعمال الادهان المهيجة للرأس او من المشط بمشط دقيق الاسنان يؤلم الرأس وقد يكون سببها التهاب في جلدة الرأس او مرض جلدي، فيجب ان لا يمشط الشعر بمشط دقيق الاسنان جدًّا واذا لم يكن السبب مرضيًّا فالغسل بالماء السخن والصابون يوماً بعد يوم يكفي لازالة الهبرية واذا كان مرضيًّا يدهن الرأس بين الشعر بزيت الزيتون او زيت السمك و يترك الزيت عليهِ ١٢ ساعة حتى تلين القشرة جيدًا و يسهل نزعها ثم يغسل الرأس بالماء السخن والصابون و يغسل بعد ذلك بماء فيهِ مادة قابضة مثل الحامض التنيك . واذا عادت القشرة بعد ذلك فيبدل الصابون بمادة قلوية يفرك بها الرأس ثم يغسل وينظف جيدًا و يكرر ذلك اذا لزم الامر

(٧) عدد النساء في انكلترا

مصر . امين افندي علي . بلغنا ان عدد النساء في البلاد الانكليزية اكثر كثيرًا من عدد الرجال فهل ذلك صحيح

ج نعم ويزيد عدد الاناث على عدد الذكور في انكلترا وويلس فقط نحو مليون لكنَّ عدد الاناث اقل من عدد الذكور في المستعمرات الانكليزية ففي كندا يزيد عدد الرجال على عدد النساء تسعين الفًا وفي استراليا يزيد عددهم على عددهنَّ مئة وثمانين الفًا

(٨) رش الماء وبرودة الهواء

ومنهُ . نرى ان رش الشوارع في ايام الحر يبرد الهواء فهل يبرد الهواء ولو لم يكن الماء الذي ترش بهِ الشوارع باردًا لاننا نرى مركبات الرش تأخذ الماء من الحنفيات رأسًا وهو ليس باردًا كما لا يخفى وقد يكون سخنًا

ج اذا كان الماء سخنًا او فاترًا فلا ينتظر انهُ يبرّد الهواء ولكنهُ لا يكون كذلك واذا صُبَّ الماء من حنفية فالقليل الذي يصبُّ منهُ اولاً يكون سخنًا او فاترًا واما ما بقي فيكون باردًا ثم ان الماء لا يبرّد الهواء ببرودتهِ بل بسرعة تحولهِ الى بخار فان تحوُّلهُ الى بخار يقتضي استخدام جانب كبير من حرارة الارض والهواء فيخسرها الهواء وتخسرها الارض ولذلك تهبط الحرارة بعض الدرجات على اثر رش الماء

(٩) ليالي مصر والاسكندرية

ومنهُ . لماذا تكون الليالي في مصر ابرد منها في الاسكندرية مع ان الحرارة تكون في النهار اشد في مصر منها في الاسكندرية

ج لان هواء الاسكندرية ارطب من هواء مصر والبخار الذي فيهِ يتحمل جانبًا كبيرًا من الحرارة فلا تعود الحرارة تشع من الارض بسهولة واما هواء مصر (القاهرة) فجاف نوعًا فلا يعوق حرارة الارض عن الاشعاع والتبدُّد بسرعة ولو كان هواؤُها اجف مما هو الآن لكانت لياليها ابرد مما هي الآن والايام الجافة الهواء لياليها ابرد من الايام الرطبة الهواء

---

(١٠) الدود في الثلج

مصر . عطا افندي فهمي . هل يتولَّد دود في الثلج كما يتولد في الجبن والماء وهل هذا الدود مضرٌّ وما شكلهُ ولونهُ وكيف يتغذَّى ويعيش وهل يمكن نقلهُ الى محل غير المحل الذي هو فيهِ وهل يبرّد الماء اذا وضع فيهِ

ج نعم قد يتولَّد دود في الثلج اي ان بعض الحشرات تبيض في الثلج كما يبيض غيرها في الجبال ويخرج دود من بيضها ولون هذا الدود ابيض وقد يكون احمر فيظهر كأَنَّ سطح الثلج احمرُّ بهِ . وقد يكون في الماء ميكروبات مرضية فتبقى في الثلج الذي يصنع منهُ وتبقى ضارَّة ايضًا ويقع على الثلج كثير من دقائق الهباء المتطاير في الهواء وهي تكفي طعامًا للدود الصغير واذا وجدت دودة في قطعة ثلج فيمكن نقلها منها الى غيرها وطبعًا

تكون باردة في اول الامر مثل الثلج الذي كانت فيهِ فاذا وضعت في نقطة ماء انخفضت حرارتها

(١١) تاثير الشمس والقمر في المد والجزر

مصر. ناشد افندي فريد. ما سبب تأثير الشمس والقمر في المد والجزر دون باقي الاجرام السموية

ج السبب قرب القمر وكبر الشمس بالنسبة الى بعدها عن الارض فان التأثير المشار اليهِ ناتج عن جذب الشمس والقمر للارض وقوة الجذب تزيد وتنقص حسب مربع البعد والقرب وحسب مادة الجسم الجاذب فاذا وُضع جسمان متساويان على بعدين مختلفين من جسم ثالث وكان بُعد احدهما عنهُ ميلاً واحدًا وبعد الثاني خمسة اميال فجذب الاول لهُ اكثر من جذب الثاني خمساً وعشرين مرةً اما اختلاف الجذب باختلاف المادة فلا اشكال فيهِ

(١٢) سكك الحديد تحت البحر

سان بولو برازيل. الخواجه جبران قودم. هل يمكن عمل سكة حديدية تحت البحر تقطع من جهة الى اخرى كان تكون تحت بحر المانش تصل بين فرنسا وانكلترا مع ان ماء البحر نبع لاحد لهُ ولا قرار

ج ان بحر المانش قريب القاع جدًّا وتحتهُ صخر وقد ارتأى كثيرون خرق سرب فيهِ بين فرنسا وانكلترا ومد سكة حديدية فيهِ او نصب انبوب كبير من الحديد في قاعهِ ومد السكة الحديدية فيهِ ولولا اعتراض الحكومة الانكليزية لتمَّ العمل وعمل الاسراب تحت البحر سهل لان الصخور التي تحتهُ كالصخور التي تحت البر واذا رشح الماء في بعض الاماكن سُدَّ مكان الرشح بالبناء او بصفائح الحديد. والاسراب محفورة تحت كثير من الانهار ولا يرشح الماء اليها

(١٣) لون الجو

ومنهُ. اذا نظرنا الى الجو في يوم رائق سماؤُهُ رأيناهُ ازرق شديد الزرقة فما سبب هذا اللون

ج اذا وقفتم حينئذٍ في مكان عالٍ جدًّا كما على رأس جبل عالٍ او في بالون يعلو عن الارض خمسة آلاف متر او اكثر رأيتم السماء سوداء ليس فيها شيء من اللون الازرق الذي تشيرون اليهِ لان اكثرهُ حادث من البخار المائي الذي في الهواء المجاور للارض. ولون الماء ازرق كما ترون في لون البحر ويظهر لكم ذلك ايضاً اذا صببتم ماء في اناء طويل من الزجاج الصافي واوقفتموهُ فوق ورقة بيضاء فانكم اذا نظرتم اليهِ عمودياً ترون الورقة تحتهُ زرقاء او ضارباً لونها الى الزرقة وهذا اللون هو لون الماء ولا يظهر كذلك الا اذا كان مقدارهُ كثيرًا. والهواء الكثير لونهُ ازرق ايضاً

(١٤) اوقات الزلازل

ومنهُ. هل يمكن تعيين الاوقات التي

تحدث فيها الزلازل كما يمكن تعيين الاوقات التي يحدث فيها الخسوف والكسوف

ج لا يمكن ذلك حتى الآن ولكن لابعد ان تكشف النواميس المتسلطة على الزلازل فيصير تعيين زمانها ممكناً . والآن يمكن الانباء بحدوث الزلزلة قبل حدوثها بدقائق قليلة او حين ابتداء الهزات الاولى التي تسبق الهزة الكبيرة

(١٥) شعر السود

ومنهُ . لماذا لا ينمو شعر السود كما ينمو شعر البيض

ج ان نمو الشعر في البدن او في اقسام مخصوصة منهُ تابع الآن لناموس الوراثة . وقد اختلف الناس بعضهم عن بعض في نمو الشعر لانهم سكنوا اقاليم مختلفة وجروا على اساليب مختلفة في تربية الشعر وفي الانتخاب الجنسي . فاولاً ان الاقاليم الباردة يطول بها الشعر اكثر مما يطول في الاقاليم الحارَّة لانهُ الزم في الباردة لتدفئة الجسم ولذلك يطول صوف بعض الحيوانات شتاءً وثانياً ان بعض الناس اهتمَّ بتربية الشعر وبعضهم اهتم بنتفهِ واضيف الى ذلك الانتخاب الجنسي اي صار طوال الشعر حيث يستحب الشعر الطويل يُفضلون على غيرهم في التزوج كما يفعل قصار الشعر حيث يستحبُّ الشعر القصير فزاد الاختلاف بين طوائف الناس ورسخ فيهم

(١٦) قوة الطربيد واللغم

مصر . احمد افندي علي . فهمنا مما كتبتموهُ عن الطربيد واللغم انهما صغيرا الحجم جدًّا بالنسبة الى البوارج التي ينسفانها فمن اين تأتيهما القوة لنسف تلك البوارج

ج ان المواد المتفرقعة كقطن البارود يكون حجمها صغيرًا واذا اشتعلت تحوَّلت الى غاز كبير الحجم جدًّا فيدفع كل ما امامهُ فجأَة ولا فرصة لانتقال فعلهِ من دقيقة الى اخرى وتوزعهِ فينحصر في ما امامهُ من الماء او من السفينة فيقلبها ويثغرها كما ان البارود يشتعل فيدفع الرصاصة من البندقية او القنبلة من المدفع او يشقُّ البندقية والمدفع اذا لم يستطع دفع الرصاصة والقنبلة

(١٧) شبكات الطربيد

ومنهُ . اصحيح انهُ توجد شبكات تلقى على جوانب السفن فتمنع وصول الطربيد اليها ولماذا لا يستعمل الروس هذه الشبكات لوقاية بوارجهم

ج نعم توجد شباك حلقها من الحديد تلقى حول السفن فتمنع وصول الطربيد اليها ولكنها قد تكون قصيرة لا تصل الى اسفل السفينة فيدخل الطربيد من تحتها ولا نعلم لماذا لا يستعمل الروس هذه الشبكات فان الانكليز يستعملونها وقد شاهدناها مع مدرعاتهم

باب الاخبار العلمية

الاسطول الانكليزي في بحر الروم

اتى الاسطول الانكليزي المقيم في بحر الروم الى الاسكندرية في الثاني والعشرين من الشهر فوصلها بين الساعة العاشرة والحادية عشرة صباحاً وكان منظرهُ رهيباً يجري بعضهُ وراء بعض كالجبال الطافية في الماء او قطع الغمام في كبد السماء وفيهِ اثنتا عشرة بارجة تفريغ كل منها اربعة عشر الف طن او خمسة عشر الف طن فرست كلها خارج المرفإ الداخلي وفيهِ سبع سفن اخرى اصغر منها وهذا وصف مجمل لكلٍّ منها

(١) البارجة بُلْوُرْك وهي سفينة الاميرال تفريغها ١٥٠٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٥٠٠٠ حصان وفيها ٤٨ مدفعاً و٥٧٠ ضابطاً وبحاراً

(٢) البارجة فنرابل وهي سفينة نائب الاميرال وتفريغها وسائر اوصافها مثل البارجة الاولى

(٣) البارجة منتاجي تفريغها ١٤٠٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٨٠٠٠ حصان وفيها ٤٢ مدفعاً و٧٥٠ من الضباط والبحارة

(٤) فورميدابل و(٥) امبلاكابل و(٦) كوين و(٧) برنس اوف ويلس و(٨) ارزستبل و(٩) لندن . وكلها مثل البارجة بلورك اي تفريغ كل منها ١٥٠٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٥٠٠٠ حصان وعدد ضباطها وبحارتها ٧٥٠

(١٠) دنكن و(١١) البرمل و(١٢) كورنولس وكلها مثل البارجة منتاجي اي تفريغ كل منها ١٤٠٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٨٠٠٠ حصان وفيها ٧٥٠ من الضباط والبحارة

ثم مخزن الطربيد فلكان وتفريغهُ ٦٦٢٠ طناً وقوة آلاتهِ البخارية ٧٢٠٠ حصان وسرعتهُ ٢٠ ميلاً بحرياً في الساعة[1] وفيهِ ٢٠ مدفعاً. والطراد بيونير تفريغهُ ٢٢٠٠ طنٍّ وقوة آلاتهِ البخارية ٥٠٠٠ حصان وسرعتهُ ٢٠ ميلاً بحرياً وفيهِ ١٩ مدفعاً

ومتلفة الطربيد اكس وتفريغها ٥٦٠ طناً وقوة آلاتها البخارية ٧٠٠٠ حصان وسرعتها ٢٥ ١/٢ ميل بحري في الساعة وفيها ٦ مدافع

والمتلفة هلرد تفريغها ٢٧٥ طناً فقط وقوة آلاتها البخارية ٥٧٠٠ حصان وسرعتها ٣٠ ميلاً بحرياً في الساعة وفيها ٦ مدافع

(١) الميل البحري اطول من الميل الجغرافي بنحو ١٥ في المئة او ٧٩٥ قدماً

والبريد سر بريز وتفريغهُ ١٦٥٠ طنًا وقوة آلتهِ البخارية ٢٠٠٠ حصان . وكان معها سفينتان اخريان وهما فيور بوس وفينس سبقتاها الى بورت سعيد

ثم جاءت سفن أُخرى صغيرة بعد الظهر وفي اليوم التالي

اثار كريت

ذكرنا غير مرة ان الدكتور افانس بن السرجون افانس اكتشف قصر ملك كريت ووجد فيهِ كثيرًا من الآثار الدالة على حضارة واسعة وعمران راسخ . وقد عاود النقب والبحث فوجد من الآثار القديمة ما يفوق في دقة صنعهِ آثار مصر وبابل على قدم عهدهِ فانهُ من القرن الثالث عشر قبل التاريخ المسيحي . من ذلك انهُ وجد غرفة الملكة مقسومة الى قسمين القسم المقدَّم منها يوصل اليهِ من ايوان قائم على اعمدة وجدرانهُ مغطاة بصور الاسماك والحيتان والقسم المؤخر فيهِ اعمدة تعلَّق بها الستائر ويتصل بهِ حمام ارضهُ مرصوفة بالبلاط . وفي الرواق الخارجي صورة فتاة قائمة ترقص وقد لبست درّاعة (سلطة) مثل الدراعات التي تلبسها الفتيات الروميات الآن وعلى حواشيها تطريز ازرق واحمر وشعرها اسود وغدائرها طائرة في الهواء من سرعة حركتها ويتصل بهذه الغرفة سرداب يوصل الى غرف اخرى يظهر انها لجواري الملكة وبينها غرفة صغيرة فيها مرتفق سياقةُ مصنوع كما تصنع السياقات في هذه الايام . وكل مرافق القصر متقنة على هذه الصورة كأنها مصنوعة على احدث الطرق الصحية

ومما كشف في هذا القصر غرفة متينة البناء جدًّا يظن انها كانت خزانة لخزائن الملك وجواهرهِ وجواهر الملكة وحلاها وقد وجد فيها كثير من حلي الذهب والعاج والبلور بديعة الصنعة ووجدت فيها ادوات من العاج ملبسة بالذهب وقطع اخرى من العاج منقوشة عليها اشكال العذاري وهن في ميدان صراع الثيران . والنقش غاية في الاتقان

وترتيب الغرف وحسن التدابير الصحية فيها ودقة نقشها ونقش ما فيها من التحف كل ذلك يدل على درجة عالية جدًّا من الحضارة

فهم الحيوانات

في باريس معهد علميّ لدرس طبائع الحيوانات غير العاقلة وقياس مداركها ومديرهُ المسيو هاشه سوبله . وقد قسم الحيوانات الى ثلاثة اقسام بهذا النظر قسم قابل للتهييج والتأثر وقسم لهُ غرائز لا تتحول عن مجراها الاَّ بقوة الاكراه وقسم لهُ ادراك يقبل التعليم والتدريب . فمن القسم الاول الحشرات الدنيئة . ومن الثاني الحشرات التي هي ارقى منها مثل النحل والنمل وكثير من الطيور وذوات الاربع . ومن الثالث ذوات

الاربع التي هي اكثر ارتقاء من غيرها والهر والكلب والسعدان في مقدمتها . فقد علم هرٌّ ان يفتح باباً مقفلاً بادارة زرّ متصل بهِ ومُرّن كلب على لعب الكرة حتى صار يحسن الاصابة بها . وركب بعضهم دراجة بثلاثة عجلات امام سعدان مرة واحدة فتعلم السعدان ركوبها وجعل يركبها كلما شاء

ومن التجارب التي عملها المسيو سوبله للدلالة على قوة الغريزة في بعض الطيور تجربة في حمام الزاجل . فقد قال بعضهم ان هذا الحمام يهتدي الى طريقهِ والمكان الذي أُفلت منهُ بواسطة المجاري المغنطيسية والهوائية ولكن المسيو سوبله أفسد هذا القول بالامتحان الآتي وهو انهُ استحضر صندوقاً خشبياً ووضع فيهِ حمامة وآلة كهربائية تكهرب الهواء الذي في الصندوق ثم اقفل الصندوق فباتت الحمامة فيهِ بعيدة عما يطرأ على الهواء الخارجي من التغير في المجاري الكهربائية . ثم اخذ الصندوق الى مكان خارج باريس لم ترهُ الحمامة قبلاً واطلق سراحها فعادت من حيث جيء بها بعد عشرين دقيقة من افلاتها . وجرّب مثل ذلك في احد عشر نوعاً من الطيور فاهتدت كلها الى اماكنها في مدة قصيرة

اشعَّة بلندلو

لا يزال العلماء الباحثون عن هذه الاشعة فريقين فريقاً يثبت وجودها لانهُ يرى افعالها عياناً . وفريقاً ينكر وجودها لانهُ لا يرى افعالها مطلقاً فيقول ان ما يراهُ الفريق الاول وَهْمٌ يُخيَّل لهُ تخيُّلاً . وقد قال بعضهم حديثاً انهُ ان كان ما يراهُ الفريق الثاني من قبيل الوهم فهو حريٌّ بالبحث كما لو كان حقيقةً لأن امراً يوهم فريقاً من العلماء برؤية ما لا حقيقة لهُ غريب لذاتهِ ويستحق ان تعلَم حقيقتهُ كما لو كان حادثاً طبيعيًّا او ناموساً من نواميس الكون

الذهب وسائر المعادن

يعجب الناس من غلاء الاسعار ويختلفون في اسبابهِ . ومهما كانت هذه الاسباب فالغلاء نسبي سببهُ الاكبر رخص الذهب او كثرتهُ . فان الذهب مقياس الاثمان فاذا قلَّ أُعطي القليل منهُ بدل ما يثمن بهِ من عقار وبضاعة وما اشبه فيظهر كأنَّ هذه الاشياء رخيصة الثمن واذا كثر أُعطي الكثير منهُ بدلاً منها فظهر كأنها غالية . ومن المقرَّر ان الذهب الذي استخرج من مناجم الارض كلها سنة ١٨٨٩ بلغ ١٨٢ طنًّا فقط ثم زاد رويداً رويداً حتى بلغ ما استخرج منهُ ١٩٠٢ لا اقل من ٤٤٧ طنًّا او نحو ستين مليوناً من الجنيهات اي زاد نحو ضعفين ونصف ضعف فالذين يظنون ان اثمان الاشياء ستهبط وتعود الى ما كانت عليهِ منذ خمس سنوات وست يخطئون في ظنهم ولا يرخص الا ما يكثر وجودهُ او

يسهل استخراجهُ كالحديد او ما تستنبط طرق جديدة لعملهِ قليلة النفقة كالصلب (الفولاذ) اما الارض وحاصلاتها واجور العمال فتزيد غلاءً كلما زاد المستخرج من الذهب

وزاد المستخرج من سائر المعادن على ما نرى في هذا الجدول وقد ذكرت فيهِ اوزان المعادن بالطن

	سنة ١٨٨٩	سنة ١٩٠٢
الجديد	٢٦٠٠٠٠٠٠	٤٢٦٦٩٠٠٠
الفضة	٠٠٠٠٣٩٠٠	٤٧٥٣
النحاس	٢٦٦٠٠٠	٥٧٢٠٠٠
الرصاص	٥٤٩٠٠٠	٨٠٣٠٠٠
الزنك	٣٣٥٠٠٠	٥٠٣٠٠٠
القصدير	٥٥٠٠٠	٠٩٣٠٠٠

ومما يذكر مع المعادن الفحم الحجري فقد بلغ المستخرج منهُ من المسكونة كلها اكثر من ٨٠٠ مليون طن . وزيت البترول وبلغ المستخرج منهُ ٢٣ مليون طن . والملح وبلغ المستخرج منهُ ١٣ مليون طن . والماس وبلغت قيمة المستخرج منهُ من مستعمرة الراس فقط نحو خمسة ملايين من الجنيهات . والكبريت وبلغت قيمة المستخرج منهُ من ايطاليا مليونًا و ٧٠٠ الف جنيه . ونيترات الصودا وبلغت قيمة المستخرج منهُ من بلاد شيلي تسعة ملايين ونصفًا من الجنيهات وهو يستعمل سمادًا للارض . واملاح البوتاسيوم وبلغت قيمة المستخرج منها من املاك المانيا مليوني جنيه . والفصفات وبلغت قيمة المستخرج منها من الولايات المتحدة مليون جنيه

ويبلغ عدد المشتغلين باستخراج المعادن في كل المسكونة اربعة ملايين ونصف من النفوس

سرعة الريح وارتفاع الامواج

ثبت من الارصاد الفرنسوية مدة سنين كثيرة انهُ اذا كانت سرعة الريح عشرة اميال في الساعة بلغ ارتفاع موج البحر خمس اقدام واذا كانت سرعة الريح عشرين ميلاً في الساعة بلغ ارتفاع الموج عشر اقدام واذا كانت سرعة الريح خمسين ميلاً في الساعة بلغ ارتفاع الموج ٢٥ قدمًا . اي ان ارتفاع امواج البحر اقدامًا يساوي نصف سرعة الريح اميالاً وذلك بوجه التقريب كما يظهر من هذا الجدول

سرعة الريح اميالاً	ارتفاع الموج اقداماً
٥,٥	٣,٢٨
١٠,٠	٤,٩٢
١٢,٤	٦,١٧
١٨,٠	٩,١٢
٢٥,٠	١٣,١٢
٣٤,٠	١٥,٤٢
٤٤,٠	٢٠,٦٧
٥٢,٢	٢٥,٤٣
٥٨,٢	٢٨,٥٤

الشموز

الشموز او البارود الياباني اشد فعلاً من الديناميت ومن قطن البارود . ومن مزاياهُ انهُ لا يشتعل بالنار ولا بالتطريق بل بنوع خاص من الكبسول واذا اشتعل نسف ما حولهُ نسفاً من كل ناحية

منع دوار البحر

استنبط مهندس الماني اسمهُ شلك اسلوباً ميكانيكيًّا يمنع نودان السفن السريع في البحر فيمنع الدوار الذي يصيب ركابها وهو دولاب كبير يوضع على ظهر السفينة ويتحرك معها فيكيف حركتها تكييفاً يمنع الدوار

حياة الميكروبات

ظهر من بعض التجارب الحديثة ان ميكروب البشرة الخبيثة (الانثركس) يعيش ثلاث سنوات ونصف سنة وميكروب التيفويد يعيش اكثر من ٥٠٠ يوم وتبقى فيهما خواصهما المرضيَّة

ما يفقدهُ اللحم بالطبخ

ثبت للاستاذ كلندلي الاميركي انهُ اذا سلق لحم البقر سلقاً خسر من المواد النيتروجينيَّة التي فيهِ من ثلاثة وربع في المئة الى ١٢ وثُلثين في المئة ومن المواد الدهنية من نصف في المئة الى ٣٧ ونصف في المئة ومن المواد الملحيَّة ونحوها من ٢٠ في المئة الى ٦٧ في المئة . والمواد التي يخسرها تنتقل الى الماء الذي يسلق فيهِ . واذا قلي قليًا (اي طبخ روستو) خسر اقل من ذلك كثيرًا فيخسر من المواد النيتروجينيَّة من ربع في المئة الى اربعة ونصف. ومن المواد الدهنية من اربعة ونصف في المئة الى ٥٧ ونصف في المئة ومن المواد الملحيَّة من ٢ ونصف في المئة الى ٢٧ وخمس في المئة. وهذه المواد تنتقل الى المرق الذي يتحلَّب منهُ. والغالب ان القطعة الكبيرة من اللحم تخسر بالطبخ اقل مما تخسرهُ القطعة الصغيرة . واللحم الذي يستخرج عصارهُ ويطعم للمرضى يفقد قليلاً من موادهِ المغذية ولو فقد كل طعمهِ

دوران عطارد

السيَّار عطارد يدور على نفسهِ كالارض وقد حسب علماءُ الفلك الذين رصدوهُ في غرة القرن الماضي انهُ يدور على نفسهِ دورة تامة كل ٢٤ ساعة واربع دقائق او خمس دقائق وظلوا على هذا الحساب الى ان قام شبارلي الفلكي الايطالي وحسب مدة دورانهِ على نفسهِ ٨٨ يوماً اي انهُ قال انهُ يدور مرة واحدة على نفسهِ كلما اتمَّ دورتهُ حول الشمس لكن ظهر الآن للفلكي مكهرج من رصدهِ لهُ في شهر ابريل الماضي انهُ يتم دورتهُ على نفسهِ في ٢٤ ساعة و ٨ دقائق

غنى كندا

يقال ان في بلاد كندا من الارض الصالحة لزرع الحنطة ما لو زرع كلهُ لبلغت غلتهُ السنوية ٨٠٠ مليون بشل على الاقل فيكفي سكان كندا ولو بلغ عددهم ثلاثين مليوناً من النفوس ويكفي اهالي انكلترا ايضاً ولو تضاعف عددهم

العصفور الدوري

اختلفت آراءُ الباحثين في العصفور الدوري وهل هو مفيد للزراعة او مضر بها اي هل اكثر طعامهِ من الحشرات او من الحبوب فثبت بعد البحث في الوف من العصافير ان اكثر طعامها من الحبوب وان اكثرها لا يأكل شيئاً من الحشرات والقليل منها الذي يأكل الحشرات لا يأكل الاَّ قليلاً منها . فاوجبت دور الامتحان الزراعي في انكلترا واميركا صيد العصفور الدوري واستئصالهُ . وعدا ذلك اثبت بعض العلماء ان هذا العصفور ينقل عدوى الامراض من مكان الى مكان حتى ان مرض الدجاج الذي تفشى في هذا القطر في العام الماضي كانت العصافير السبب الاكبر لانتقالهِ وانتشارهِ في البلاد لانها تقع على طعام الفراخ السليمة فتنقل العدوى من الاولى الى الثانية فجدير بالحكومة المصرية ان تساعد الذين يصطادون العصافير الدورية بكل واسطة ممكنة

بعض الرواتب الكبيرة

ان راتب المستردُدْ محامي شركة زيت البترول المعروفة بشركة الستندرد خمسون الف جنيه في السنة وراتب المستر رجرس مدير شركة النحاس عشرون الف جنيه وكذلك راتب المستر هفمير مدير شركة تكرير السكر الاميركية . وراتب المستر مكول رئيس شركة تأمين نيويورك ثلاثون الف جنيه

اما النساءُ اللواتي يتعاطين الاعمال فاكبر راتب تتقاضاهُ الواحدة منهنَّ الف جنيه في السنة الاَّ مسز مكرثي وهي مديرة معمل كبير لعمل الثياب فان راتبها الفا جنيه وتأخذ فوقهُ قسماً من الارباح

نقيضان حسب الظاهر

قال بعضهم ان الترتيب والنظام لازمان للنجاح في كل امر وقال غيرهُ ان الترتيب والنظام اذا لم يتحكم فيهما المرءُ صارا لهُ كالسلاح الثقيل الذي يمنعهُ من الحركة

الاستدلال بالاسنان

كتب احد اطباء الاسنان مقالة في مجلة العلم العام الانكليزية بيَّن فيها انهُ يسهل الاستدلال على الانسان من اسنانهِ ولو بعد الموت وعندهُ انهُ يمكن ان يوضع علم في دلالات الاسنان واختلافاتها كما وضع علم علامات الاصابع الذي استخدم الآن لتحقيق شخصية الجانين

اقدم الجرائد الانكليزيَّة

في بلاد الانكليز خمسة آلاف جريدة ٢٣٢ منها يومية واقدم جرائدها لندن غازت أُنشئت في اكسفرد سنة ١٦٦٥ ونقلت الى لندن سنة ١٦٦٦

طبع الكتب

يطبع من الكتب في فرنسا اكثر مما يطبع في غيرها بالنسبة الى عدد السكان فانهُ يطبع فيها كتاب لكل ١٦٠٠ نفس من سكانها وتتلوها في ذلك انكلترا ثم هولندا فالدنمارك فنروج فاسوج فايطاليا فالمانيا ويبلغ عدد الكتب في المانيا بالنسبة الى عدد السكان واحدًا لكل ١٨٠٠ نفس ولو كانت النسبة في القطر المصري كما هي في المانيا لوجب ان يطبع فيها ٣٦٠٠ كتاب مختلف كل سنة

فائدة رماد التبغ

بينت جريدة اللانست الطبية ان رماد التبغ مفيد جدًّا للزراعة واسفت لانهُ لا يعتني بجمعهِ واستعمالهِ وفاتها ان الرياح تبددهُ وتعيدهُ الى الارض فان كان فيهِ فائدة فالفائدة لا تضيع

فاكهة جديدة

اهتمَّ بعضهم بتوليد فاكهة جديدة فجعل يلقح ازهار بعض الاشجار بلقاح من ازهار اشجار اخرى فيتولد منها اثمار جديدة فيعتني بزرع بزورها وتلقيحها حتى تولد عندهُ انواع جديدة من الفاكهة لم تكن معروفة من قبل

صور للفانوس السحري

يؤتى بلوح خشن من الزجاج ويرسم عليهِ بقلم صلب من الرصاص ويدهن ببلسم كندا ويلصق عليهِ لوح آخر من الزجاج فيصير شفافًا ويظهر عليهِ الرسم واضحًا جدًّا

بيضة الاوك

بيعت بالامس بيضة من بيض الاوك المنقرض بمئتي جنيه وقد بيعت هذه البيضة نفسها سنة ١٨٣٨ بجنيهين فقط ثم بيعت سنة ١٨٦٩ باربعة وستين جنيهًا

فوائد التبغ

كتب بعضهم فصلاً طويلاً في فوائد التبغ في مجلة مكملن قال فيها ان دخانهُ يقي من الامراض الوبائية لانهُ يقتل الميكروبات حتى ان الجنرال روبرتس وقى جنودهُ من الاوبئة وقت حملتهِ على كوماسي بالتبغ الذي وزَّعهُ عليهم وامرهم بتدخينهِ . ويقال ان دخان التبغ يميت ميكروبات الكوليرا وميكروبات ذات الرئة مهما كان نوع التبغ ويميت ايضًا الميكروبات التي تلتصق بالاسنان عادة وتتلفها . واذا صفَّر الاسنان فرمادهُ يجلوها اذا فركت بهِ

مدافن بني حسن

بلغ عدد القبور المصرية القديمة التي كشفت حتى الآن في بني حسن ٨٨٧ قبرًا وبعضها كبير جدًّا وفي بعضها من الادوات والتحف ما يدل على احوال المصريين وطرق معيشتهم في العصر الذي صنعت فيهِ تلك المدافن

خزان اكبر من خزان اصوان

في نية حكومة الهند ان تبني سدًّا لاحد انهرها طولهُ ميل وارتفاعهُ نحو خمسين مترًا تتكوَّن فوقهُ بحيرة طولها اربعون ميلاً ويخزن بهِ من الماء ما مقدارهُ نحو ستة آلاف مليون متر مكعب اي نحو خمسة اضعاف ما يخزن بخزان اصوان. وقد قدِّرت نفقات انشاء هذا السد بثلاث كرات ونصف من الربيات اي نحو مليونين وثلث من الجنيهات

السود وحرية الانتخاب

كتب المستر بويل من اساتذة كلية وسكنسن في اميركا مقالة في احدى المجلات العلمية قال فيها ان من اعظم الغلطات ان يخوَّل السود الذين يحرَّرون من العبودية حرّية الانتخاب وانهُ لا يجوز السماح لهم بذلك حتى يخطوا خطوة اخرى في ميدان التمدُّن لان التجارب دلت على ان السود لا يستطيعون الاشتراك في ادارة شؤُون الجمهوريات ولو بعد تحررهم بزمان طويل

سباق البلونات في معرض سنت لويس

سيقام سباق في معرض سنت لويس باميركا تتسابق فيهِ البلونات بدل الجياد وتجري ثلاثة اشواط ويعطي صاحب البلون المجلّي في حلبة السباق ٢٠ الف جنيه. والميدان على شكل زاوية قائمة فيبدأُ السباق من الزاوية ويقام بلونات عندها وعند طرفي الميدان لتعيين الوقت والتحكيم. فتعطى الجائزة لاسرع البلونات بشرط ان لا يقلَّ متوسط سرعتهِ في كل شوط عن ٢٠ ميلاً في الساعة

جائزة نوبل

أُعطيت جائزة نوبل حديثًا لعالم اسمهُ الاستاذ فنسن بسبب اكتشافاتهِ الطبية واهمها شفاءُ بعض الامراض بالنور الاحمر وخصوصًا الجدري او تخفيف وطأَتها. وشفاءُ بعض الامراض الجلدية الشديدة بواسطة الاشعة الكيماوية من غير ان يضرَّ ذلك بالجلد بعد ان اثبت ان النور يقتل البكتيريا التي في الجلد اما بنفسهِ او بالالتهاب الذي يحدثهُ فيهِ

ولما أُعطيت الجائزة لهُ ابى ان يأخذها واراد ان يقفها على المستشفى المعروف باسمهِ على شدة فقرهِ وفاقتهِ واخيرًا اقنعوهُ بابقاءِ نصفها لهُ ولعائلتهِ بعد الجهد الكثير. وقد زارهُ ملك انكلترا وملكتها وامبراطور المانيا وام قيصر روسيا. ولما زارهُ امبراطور المانيا قال لمن حولهُ "يجب ان يقام لهذا الرجل تمثال في

حياتهِ" وهو مريض سقيم مصاب بالاستسقاء وعمره ٤٢ سنة وقد مرَّ عليهِ ٢٠ سنة يقاسي آلام الامراض ويقضي معظم الوقت مضطجعاً على فراشهِ لا يرى احداً حتى افراد عائلتهِ وحرارة بدنهِ اقلُّ من الدرجة الاعتيادية . ولم يزر المستشفى المعروف باسمهِ منذ اكثر من سنة مع انهُ لا يبعد سوى خطوات قليلة من منزلهِ

الانارة بالكحول

أشار احد العلماء باستخدام الكحول للنور قائلاً ان لهُ مزيتين على المواد المستعملة للانارة الاولى ان الحرارة التي تتولد منهُ اقل من الحرارة التي تتولد منها والثانية ان غاز الحامض الكربونيك الذي يتولد من اشعالهِ اقلُّ ايضاً من الغاز المتولد من اشعال زيت البترول مثلاً فانهُ يتولد من حرق ١٠٠ جرام من الكحول ١٦٣ جراماً من غاز الحامض الكربونيك ومن حرق ١٠٠ جرام من زيت البترول ٣١٢ جراماً من الغاز اي ان مصباح البترول اسرع في سمّ الهواء وافسادهِ من مصباح الكحول

فائدة الملح

قال المسيو لنوسيه من اعضاء جمعية فرنسا البيولوجية ان تناول كميات معتدلة من الملح مفيد للمعدة بل لازم كلّ اللزوم لها . وعليهِ يجب ان لا يقتصر على اضافة الملح الى الطعام بل ان يؤخذ على حدة كما يؤخذ الدواءُ . وقد استند في قولهِ هذا الى تأثير ملح البحر في الهضم الاصطناعي

سلطة العقل على المادة

كتب المستر جون نيومان مقالة في التنويم المغنطيسي ذكر فيها اموراً مدهشة عن سلطة امام تبت الملقب باللاما على الاشياء الطبيعية فقال

يروي السياح انهم وجدوا اناساً في كوشين شين يديرون الموائد في اماكنها ويجرون القوارب الكبيرة حذاء الشاطىء بمجرد قوة ارادتهم وقد اكَّد لنا المرسلون الجزويت الذين اوغلوا في بلاد تبت ان ايمتها يستطيعون ادارة الموائد ورفعها عن الارض رويداً حتى تغيب عن الابصار صعداً . وقال احد سياح الروس وهو ممّن شاهد هذا العمل ان امام تبت يلجأُ اليهِ غالباً عند ارتكاب سرقة او قتل قصد الاهتداء الى الجاني . ففي اليوم الموعود يجلس الامام على الارض تجاه مائدة صغيرة مربعة ويضع احدى يديهِ عليها ويقرأُ في كتاب معهُ بصوت خافت . وبعد نصف ساعة ينتصب واقفاً على قدميهِ ويرفع يدهُ عن المائدة ويمدُّ ذراعهُ ويبقيها كذلك هنيهة من الزمان فتأخذ المائدة ترتفع تبعاً لحركة يدهِ حتى تصير على مساواة عينيهِ ثم يتحرك من موضعهِ فتتبع المائدة حركتهُ وتزيد سرعتها حتى يعسر عليهِ ادراكها

وهو يعدو ثم تخطر ذهاباً واياباً وتسقط الى الارض . ويقول اهل البلاد ان المائدة تستقرُّ غالباً وهي مائلة الى الجهة التي يجب التفتيش فيها عن الجاني . قال السائح الروسي الذي روى ما تقدَّم وقد شاهدت هذا العمل اربع مرات فاخفق الامام في المرات الثلاث الاولى وقال انهُ لم يهتدِ الى الجاني . واما في المرة الرابعة فان المائدة دارت في حركة لولبية وسقطت في بقعة معلومة ففتشوا فيها عن الشيء المسروق فلم يعثروا عليهِ . وفي اليوم التالي انتحر رجل في تلك الناحية فاشتبهوا في امرهِ ونقبوا منزلهُ فوجدوا المسروق فيهِ . وقد دققت النظر في المائدة واكثرت من التفتيش فلم اعثر على شيء يوصل بينها وبين اللاما

قال المستر نيومن وعندي انهُ يحسن بجمعية البحث في الآثار العقلية ان تنتدب من قبلها من يرافق الحملة الانكليزية في تبت لتحقيق هذه الامور واشباهها . وعبيد الاوهام يصدق بعضهم بعضاً

الحرارة والارتفاع عن الارض

ظهر من بعض التجارب التي عملتها جمعية بلتيمور الجغرافية بالطيارات ان الحرارة قلَّت درجة واحدة بمقياس فارنهيت لكل مئة قدم عند ارتفاعها حتى بلغت ٥٠٠ قدم في العلوّ . ثم اخذت تنقص درجة واحدة لكل ١٤٣ قدماً حتى علوّ الف قدم . ودرجة لكلّ ١٦٧ قدماً حتى علو ١٥٠٠ قدم . ودرجة لكلّ ١٩١ قدماً بين علو ١٥٠٠ و٤٠٠٠ قدم . اما درجة الرطوبة فزادت زيادة مستمرة فكانت على سطح الارض ٧٣ في المئة فصارت ٩٦ في المئة على علو ٤٠٠٠ قدم

نصائح لمقاومة السل

نشر مجلس الصحة في نيويورك النصائح التالية للمسلولين

لا تنم في غرفة حارَّة او مزدحمة ولا تقم فيها

ابقِ شباكاً على الاقل مفتوحاً في الغرفة التي تنام فيها

نمْ في الغرفة وحدك واذا لم يكن ذلك ممكناً فنم في السرير وحدك

تجنب مجاري الهواء والرطوبة والغبار والدخان . واعلم ان الغبار والدخان اشدُّ ضرراً من المطر والثلج

اذا كنت في البيت فاقم في الغرفة المعرضة للشمس اكثر من غيرها والتي هواؤها مطلق ولتكن خالية من البسط والسجاجيد

لتبقَ قدماك ناشفتين ودافئتين

نمْ باكراً ولتكن مدة نومك ثماني ساعات على الاقل

اذا كان لابد لك من الشغل فاسترح على قدر الامكان

تجنب الاكل وانت متعب جسداً او

عقلاً وكذلك تجنبهُ واعصابك مثهيجة

كلْ كثيرًا من الطعام الجيد المغذّي واشرب رطلين من اللبن كل يوم فوق طعامك وكلْ ايضاً ثلاث بيضات الى ست بيضات من البيض الجديد وكثيرًا من الزبدة والسكر

اشرب كثيرًا من الماء النقي بين طعام وطعام

لاتقبّل احدًا في فيهِ

ان الاعتماد في معالجة السل على الهواء النقي والطعام الجيد وحسن المعيشة اهم من الاعتماد على الدواء

لاتخف من البرد

نمو مدينة لندن

كان سكان مدينة لندن سنة ١٨٤٥ اي منذ اقل من ستين سنة ١٩٤٩٢٧٧ اي اقل من مليوني نفس وبلغ عددهم بعد خمس وثلاثين سنة ٣٨٣٠٢٩٧ اي نحو اربعة ملايين نفس فتضاعفوا في خمس وثلاثين سنة وبلغ عددهم منذ ثلاث سنوات ٤٥٣٦٥٤١ اي اكثر من اربعة ملايين ونصف مليون. وجانب كبير من هذه الزيادة ناتج عن مهاجرة الناس من داخلية البلاد. وكان فيها سنة ١٨٤٥ ثماني محطات من محطات سكك الحديد فصار فيها الآن ٢٧٥ محطة وكان فيها نحو ٣٠ ميلاً من سكك الحديد فصار فيها الآن نحو ٣٠٠ ميل

نفقات المسكرات

ينفق الشعب الانكليزي على المسكرات اكثر من مئة وستين مليون جنيه كل سنة ثلثاها من العمال الفقراء والربح الناتج من بيع المسكرات يذهب اكثره الى عدد قليل من الاغنياء اصحاب المعامل والحانات فيربح هؤُلاء الملايين الكثيرة كل سنة ثم يتصدقون بجانب صغير من ربحهم على المساكين الذين افقروهم بتسهيل شرب المسكرات لهم يسلبونهم دينارًا ويجودون عليهم بدرهم فيعدُّون من كبار المحسنين. وقد اهتم الانكليز الآن باقفال بعض الحانات وابدال المسكرات باشربة تنعش ولا تسكر لكن الذين يربحون من عمل المسكرات وبيعها لا يسلمون بترك ربحهم عفوًا

الوصول الى تبت

ابان احد الكتاب في مجلة القرن التاسع عشر ان الوصول الى بلاد تبت والى لاسا عاصمتها سهل جدًّا من بلاد الروس خلافًا لما يظهر من رحلات سفن هدن فانهُ لما استولى التتار على لاسا في اوائل القرن الثامن عشر وجدوا فيها اميرة كرجيَّة وابنها وكانت هذه الاميرة قد اتت من بلادها استراخان الى بلاد تبت بسماح من الحكومة الروسية. وكان في لاسا قبل استيلاء التتار عليها اناس من النصارى جاؤُوها لجمع المعلومات اللازمة لعمل

خريطة بلاد تبت

جريدة تلغراف مركوني

انشئت جريدة في السفينة كمبانيا التي تمخر بين اوربا واميركا تأتيها الاخبار من اوربا واميركا وهي في عرض البحر بتلغراف مركوني وهي ثماني صفحات وفيها كثير من الصور تنشأ وتطبع في تلك السفينة وتوزع على الركاب وثمن النسخة منها بنسان ونصف (نحو غرش)

الشيخ كروجر

نعى البرق في اواسط الشهر الماضي الشيخ كروجر رئيس جمهورية الترنسفال السابق توفي في كلارنس بسويسره ولهُ من العمر ٧٩ سنة غير كاملة فانهُ ولد في ١٠ اكتوبر سنة ١٨٢٥ . ولا حاجة بنا الآن الى ذكر تاريخ حياتهِ مطولاً وتعريفهِ للقراء فانهُ بات اشهر من ان يعرَّف بعد حرب الانكليز والبوير الاخيرة . وغاية ما نقولهُ هنا انهُ عين رئيساً لجمهورية الترنسفال لاول مرة بعد موقعة ماجوبا هل التي اقتتل الانكليز والبوير فيها فانتصر البوير ونالوا استقلالهم وكان ذلك في فبراير سنة ١٨٨١ وجدد انتخابهُ رئيساً المرة بعد المرة

وقد ابنتهُ الجرائد الانكليزية وفي مقدمتها التيمس فأطالت في بيان محاسنهِ ومساوئهِ وقالت انهُ لم يكن بطلاً ولا قديساً وانكرت عليهِ ما وصفتهُ الجرائد الاوربية بهِ في اثناء الحرب من الذكاء وكبر العقل وقالت انهُ كان فلاحاً بسيطاً ساذجاً لم يتعلم شيئاً جديداً ولا نسي شيئاً قديماً . ولكنهُ كان رجلاً بجميع معاني هذه الكلمة وانكلترا تحب الرجال . وقد كانت شجاعتهُ وصلابة رأيهِ محلَّ اعجابنا كانا ولو كان اكثر استقامة وصدقاً في معاملتهِ لنا واكثر حرية في كلامهِ عنا ومعنا لا حللناهُ المحل الاسمي من قلوبنا . انتهى

ومهما يكن من اقوال الجرائد فيهِ فلا ريب انهُ كان مثال الوطنية الصادقة والغيرة على نجاح بلاده وامتهِ وحفظ استقلالها وقد مات غريب الدار مكسور الخاطر بعد ما انتصر الانكليز على قومهِ وسلبوا الترنسفال استقلالها وضموها الى مستعمراتهم وجفاهُ الملوك والكبار الذين كان يؤمل الخير عن يدهم

فهرس الجزء الثامن من المجلد التاسع والعشرين

٦٤٩ المعرض الاميركي ومبانيهِ (مصوَّرة)
٦٥٢ مصير الانسان
٦٥٧ حملة هكس باشا
٦٦٥ قوانين يوستنيانوس . للاستاذ سعيد الخوري الشرتوني
٦٧٣ القوَّة في الشيخوخة
٦٧٩ حكاية حال . سليم عنحوري
٦٨٢ سل البقر وسل البشر
٦٨٣ انسان الارض والسماء
٦٨٩ تمثال الدكتور بلس
٦٩٣ التنبيه والحس في النبات
٦٩٧ اصلاح النسل
٦٩٩ صوم الحيوان
٧٠٠ الشفاء بالهواء
٧٠٢ نظارة المعارف والكتاتيب
٧٠٧ نبأٌ من اليابان

٧١٧ باب تدبير المنزل * المرأَة في كوريا . المرأَة في استراليا . لعب الاولاد . تعليم البنات في اميركا . اختراع القصص . قدوة الوالدين
٧٢٢ باب الزراعة * زراعة القطن المصري في اميركا . انواع القطن . القطن السي ايلند . ثمن القطن السي ايلند . العلف من الكسب . دود القطن . حشرات دود القطن . النباتات الشتوية .
٧٢٧ باب المسائل * المشروبات الروحية . كثرة النوم . الشعر والفلسفة . عدد الناطقين بالعربية . اجود الصابون . العبرية . عدد النساء في انكلترا . رش الماء وبرودة الهواء . ليالي مصر والاسكندرية . الدود في الثلج . تاثير الشمس والقمر في المد والجزر . سكك الحديد تحت البحر لون الجو . اوقات الزلازل . شعر السود . قوة الطربيد واللغم . شبكات الطربيد
٧٣٢ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ٣٨ نبذة

رواية البوليس السري ملحقة بالمقتطف

الفصل العشرون

قائد الفرقة الطيّارة

وما دخلت الشيطانة الجميلة ومدّت يدها للسلام على سكولوف حتى دَوَت هاتيك الانحاء بصوت مدفع بعيد أُطلِقَ طلقتين متواليتين فقالت الشيطانة : —

— هذا من اسكي زهرة ومنهُ يتحقق ان الفرقة الطيّارة أصبحت قريبة منّا

فاجابها البرنس ناظرًا الى ساعتهِ : —

— هكذا يظهر وهو مطابق للانباء التي بلغتني منذ بضعة ايام وحينئذٍ اخذت السيدة دشتون في حديث طويل تخلصت منهُ الى هذه الجملة : —

— حقًّا ان هذه الانحاء موحشة جدًّا لخلوها من مظاهر المدينة ووسائط الحضارة . وعندي ان الوصول اليها أص — أص — أصعب من مقتل غودارد المسكين

وقد نطقت بهذه العبارة الاخيرة بلجلجة لا مزيد عليها كأَنها تجهد قريحتها في استخدام تشبيهٍ مناسبٍ . فلما اتمتها انتفضت الشيطانة الجميلة من سماعها لكنها تغلبت على نفسها بجهد عنيفٍ لم يخفَ على البرنس سكولوف فقال : —

— يالها من مشابهة !

فقالت املي : —

— لاادري كيف خطر مقتلهُ على بالي في هذه الدقيقة ومن العجيب الغريب ان انسانًا نظيرهُ يخرب بناء رجائهِ بغتةً حين كان يرجي لهُ احسن مستقبل . وقد عرفتهُ جيدًا ولكن ما الفائدة من ذكرهِ امامكما وانتما تجهلانهِ وقلما تعرفان عنهُ

فخان الشيطانة الجلد واقدمت على السؤال بمزيد الاهتمام لكنها شعرت بطيشها وعدم تثبتها فتلافت امرها من نصف كلامها الآتي : —

— تعرفينهُ ؟ ما اسمهُ ؟

— او بين غودارد . سوف اطلعكِ على قصتهِ بالتفصيل حين ازوركِ في غرفتك الخاصّة

فقال سكولوف : —

— اراكِ مهتمة لهذا الرجل

— نعم . لان من يخرب بناء مستقبلهِ في الدقيقة التي ابتدأَت فيها حياة تقدمهِ وترقيهِ

يكون سببهُ اعتيادياً — امرأة . ولا بدَّ ان تكون قصتهُ ذات شأن

— اذاً رأيكِ انهُ حينما يسقط رجل في مهاوي التلف يكون سبب سقوطهِ دائماً امرأة

— ليس كما قدمت واستنتجت فقد تسوء حال الانسان لاسبابٍ كثيرة ولكن حينما يسوق الخراب الى نفسهِ يتوقع الآخرون ان يكون السبب امرأة

— لنرجئ هذا البحث الى وقتٍ آخر فقد حان قدوم زائريَّ فسألتهُ املي : —

— من هما ؟

— سوف تعرفينهما

— اذاً انت تعِدُ لي سبباً كبيراً للدهشة والابتهاج ولهذا يترتب عليَّ عدم اللجاج في السؤال . فالى الملتقى .

وبعد خروجها سألتهُ الشيطانة : —

— من هما زائراك فلم تخبرني شيئاً عنهما

— لانهُ لم يكن لي شيء اقولهُ عنهما حتى هذا الصباح . فهما المستر سافيل وقرينتهُ واسوف تسُرين كثيراً برؤيتهما لانهما اهل ادبٍ شائق ولطفٍ رائع . وقد بلغا هذه التخوم منذ يومين وارسلا يطلبان مني جواز المرور . وفي الليل الماضي وصلا اسكي زهره واليوم يقدمان علينا . على ان اقتراب الفرقة الطيارة جعلني في شغل شاغل من نحوهما

— قل لي لماذا دعوت تلك المرأة — السيدة دشتون — من نيس الى هنا ؟

— لانني ظننت انك تسرّين بالاجتماع بها

— بل لانك توقعت انها تفيدك شيئاً عني !

— اذاً لم سألتني ؟

— لارى هل تخلص في الجواب فاتحقق صدقك وامانتك . وليس بخافٍ عليك اني اكره الكذب وابغض مايولدهُ الجبن والخوف . فاسألني عما تروم معرفتهُ فهل نقصتني قط شجاعة في الكلام

— اراكِ مغتاظة جداً ايها البارونة . ولقد طالما كنت صبوراً عليك غير جازع .

فادركت الشيطانة انها جرحتهُ بالكلام واسرعت في الاعتذار فقالت : —

— عفواً ياسيدي البرنس ان ضعفي يوشك بعض الاحيان ان ينسيني مالك عليَّ من الجميل لاني لست سوى امرأة

— قد كنت ولاازال ارجو ان أُنسيك اسباب ضعفك فالى كم يبقى هذا الرجاء باطلاً ؟

او لا تطرحين عنك الاهتمام بما اراكِ وقفتِ حياتك على مصارعتهِ من الخطوب وتعيرين جانب الالتفات الى ضياء السعادة الساطع الاشراق ولكِ ان تملكي ناصية التمتع بهِ منذ الان بحق المحبة الذي لا ينازعكِ فيهِ احد ؟

— اظنك تذكر ان اتفاقنا كان واضح المبدإ ولا تحتاج الى التذكير . وعند ما وطنتُ نفسي على القيام بخدمتك علمتُ اني عرَّضت نفسي لامر خطرٍ وقد بعتكَ تلك الحياة — اذا مسَّت الحاجة الى الموت لكنني لم أبعك نفسي

— ولكنكِ تهبينها هبةً . ان الحصول على الشفقة ام المحبة يتطلَّب قرع باب الجودة — كاريتا [١] ما احلاها اسماً ! ولهذا اودُّ ان ادعوك بهِ

— هو اسم امي ولذلك تجدهُ مقدساً عندي ولكن دعنا من هذا ! ولا حاجة بنا الى التكلُّم بالغاز . انك تعرف جانباً من دخيلة امري وتروم ان تعرف شيئًا اكثر . ولكن اقول لك صريحًا انك لست مستطيعًا ان تعرف عني شيئًا بواسطة تلك المرأة . ولك الآن احسن فرصةٍ تنتهزها . إسألني ما شئت ولي ان اكتم عنك ما أُريد لكني لا اكذب

— هل يهمكِ امر الرجل غودارد ؟

— الى الغاية

— لم اسمعكِ قطُّ تذكرينهُ

— كل ما هو في سويداء الفؤاد بعيدٌ جدًّا عن الشفتين

— وهل تعلمين ما المَّ بهِ ؟

— اعلم انهُ مات ان صدقت تلك المرأة . وخيرٌ لك ولمصلحتك ان يكون موضوع اهتمامي في راحتهِ الابدية . فمرني تجدني طوع بنانك وانما دعني اتولَّى جهة غلطاتي الفادحة واتعرَّض لنشق سمومها اللافحة . وقد قلتُ لك اني أُطلعك على انباء جديدة . فعندي الآن نبأٌ يقصّر عن وصفِ غرابتهِ الكلام — نبأُ حذقٍ وبسالةٍ وإقدام

— ماهو

— ان جيوشنا لقيت في طريقها موانع عظيمة والى الآن لم نستفد شيئًا كبيرًا من مرقبنا السياسي لان ماتوقعناهُ من ورائهِ خيبتهُ حركات الفرقة الطيارة التي نسمع عنها كثيرًا ونرى منها قليلاً اليس كذلك ؟

— بلى فان كلامك هذا طبق انباء سكوبيلف الاخيرة .

(١) معنى «كاريتا» الجودة او الاحسان

— وقائد هذه الفرقة يكون هذه الليلة في قبضة يدي . فكم يساوي اسره
فاجابها البرنس بتعجب لا مزيد عليهِ
— قائد الفرقة الطيارة هنا ؟ هذا مستحيل
— تقول هذا لانك غير قادر قوة سحري حق قدرها فضلاً عن مهارتي في المسائل السياسية
— ابجدٍ تقولين هذا ؟
— نعم فقد رأيت بعد جهد التأمل اننا في حاجة شديدة الى ازالة هذا القائد من طريقنا فمهدت لهُ السبيل واعددت الوسائط الفعَّالة
— ولكن هذا ليس بسهلٍ عليك
— نعم ولكنَّ النتيجة ستكون وفق المراد . ولا يخفى عليك اني بقوة فراستي اخترت هذا المكان منشأً لمرقبنا السياسي قبل شهر الحرب بثلاثة اشهر وما لبثت بعد ذلك ان سعيت في ابلاغ ذلك القائد انني تمكنت بسبب ضعفك — ضعفك انت — من الوقوف على اسرارٍ تتعلق بالمسائل الحربية ثم اطنبتُ كثيرًا ببسالتهِ وشدة اقدامهِ فاثَّر فيهِ هذا الاطناب تأثيرا بليغًا وارتاح من جرَّائهِ الى الاطلاع على هذه الاسرار من غير معاناة شيءٍ من الاخطار . وقد خيَّم بفرقتهِ ليلة امس على مقربةٍ من اسكي زهرة وهو في اشد الاحتياج الى الزاد ويهمهُ جدًّا الالمام بحركاتنا . ومن هذا يتضح لك اني بحسن تدبيري اغريتهُ بان ينصب لي شركاً لا بدَّ ان آخذهُ فيهِ
— وحق مار نيقولا ! ان الشيطانة الجميلة آية في الحذق والذكاء ومنقطعة النظير في السياسة والدهاء . وعندي ان هذا هو الشرك الوحيد الذي بهِ تتمكنين من اصطيادهِ . ولكن هل انت واثقة بقدومهِ ؟
— اتوقع على يد رسولي الخاص علمًا يثبت ما اقول
— وكيف توفقت الى هذا المسعى الحميد ؟
فاطرقت هنيهةً ثم اجابتهُ بلهجةٍ شفَّت عن مزيد الاسف
— كل ذلك لكي اربح مسرتك واغنم رضاك وافوز بحريتي . انني عللت نفسي بالمنى والمطامع حتى خيبت تلك الخبيثة آمالي وكذبت ما كنت احلمهُ من الاجتماع بذلك العزيز الغالي . ولستُ اوجس بعد فقدهِ خوفًا ولا ارهب خطرًا ولا ارى امامي ما يقتضي احترازًا او يستوجب حذرًا . وسأظلُّ كاليهودي التائهِ جوَّابة آفاق واقطار اقضي حياتي بالرحلات والاسفار هاجرة مضاجع الحب والراحة والسلام ورائدة فيافي القلى والقلق والخصام حتى اجد

الى فضاء وطري سبيلاً او يقضي الله امراً كان مفعولاً

ولست أُبالي ما يكن فليكن وهلْ يكونُ بهِ موتي فذا منتهى الاملْ

ثم وارت وجهها بين يديها وقد أُرتج من شدة التأثر عليها · وانقطع حديثها بدخول خادم يرفع بيدهِ رقعة الى البرنس سكولوف فتلا فيها اسم المستر رتشرد سافيل وقرينتهِ وقال

— هوذا ضيفانا المنتظران قد حضرا ايها البارونة وهما المستر سافيل ابن الجنرال سافيل المقترن حديثاً بكاترينا مدلتون ومتى اجتمعتِ بهما ورأيتِ ما فيهما من خفّة الروح وظرافة المعشر عجبتِ من لياقة اقترانهما وقلتِ " وافق شنٌّ طبقة "

ثم التفت الى الخادم وقال : —

— اخبر المستر سافيل وقرينتهُ ان البرنس سكولوف والبارونة التدورف في انتظار تشريفهما

الفصل الحادي والعشرون

دك سافيل

وبعد ظهر ذلك اليوم جلس المستر سافيل وقرينتهُ في قاعة قصر كرستوف في دوه كوي قرب اسكي زهره عند مضيفيهما البرنس سكولوف والشيطانة الجميلة · و بعد الفراغ من عبارات التعرُّف والتحيات المعتادة قال سكولوف مخاطباً السيدة سافيل

— في اجتماعنا الليلة الاخيرة ايها السيدة بذلتُ جهدي في ان انال منك وعد تشريفكِ لي في نيس · ولم اكن اتوقع انك تطوفين العالم حتى توفيني الوعد هنا · على ان هذا لا يحول دون استقبالك بالترحيب والتأهيل وايفائك حقكِ من الثناء الجميل

— شكراً للطفك العظيم ايها البرنس ولقد قدمنا عليك لاجل تذكيرك الوقت الذي شرتَ اليهِ لعلك تودُّ ان تلقي دلوك معنا في الدلاء وتشاركنا في ما وقفنا لهُ زهرة عمر المسرة وغرّة ايام الصفاء

فاجابها البرنس : —

— اني مستعدٌّ لامتثال كل امر منكما واظنني انوب في هذا عن حضرة البارونة ايضاً

— بلا ريب

فقال دك سافيل : —

— لايخفى عليكما اني برًا بعهد الصداقة المكرم واحتراماً لشأن الاخاء المقدس اتيتكما مستقصياً مستنجداً . وقد المع البرنس الى اجتماعهِ الاخير بقرينتي وليلتئذٍ مثلت فاجعةٌ صادعة انجلت عن تلف احسن رجل في العالم — اعني بهِ القائد او بين غودارد

فقالت الشيطانة الجميلة : —

— غودارد !

ثم انحنت الى الامام وحدقت في وجهِ دك سافيل بعين ترجمت عما تعجز عن بسطهِ الاقلام

فقالت كتي : —

— لعلكِ سمعتِ عن هذه الحادثة ايها البارونة اما انا فقد شهدتها وحقاً انها كانت هائلةً جداً

نحنت البارونة رأسها ولم تفه بكلمة واستأنف سافيل كلامهُ : —

—ولاجل تنزيهِ ذكر صديقي الميت من اوضار هذه الوصمة وتطهير اسمهِ من اقذار تلك التهمة وطنتُ نفسي على السعي في اثبات جناية متهميهِ الاشرار في شر مكيدة وافظع ائتمار . وليس بخافٍ عليكما ان القائد غودارد كان قد اتهم بالخداع في اللعب بمنزل اللورد ارلنفورد

فقالت الشيطانة الجميلة — :

— لكنهُ كان يسهل على القائد غودارد ان يبطل هذه التهمة

فاجاب دك سافيل : —

— وهنا سرُّ المسألة . اذ ظهر بعد الفحص انهُ كان معهُ ورقة ابى اظهارها . واختفاء " روا السباتي "— لانهما كان يلعبان " الايكرتيه "— قوّى جانب التهمة مع ان كل واحدٍ منا تحقق ان اللورد ارلنفورد كان مطلعاً جيداً على تنقية الورق فضلاً عن انفتاح عيون مساعديهِ في المراقبة والملاحظة وهما الماجور هوبرت كرتر وشقيقتهُ السيدة املي دشتون

فقالت الشيطانة الجميلة — :

— املي دشتون ! انها هنا عندنا

— هنا ! الآن ! ارجوكما ان لا تطلعاها على شيء من غرضنا في مجيئنا اليكما

فقال البرنس سكولوف : —

— سأسعى في حراسة الباب لكي لا يدخل احدٌ علينا فجأةً

ثم نهض سائراً نحو الباب وفي اثناء مرورهِ بالشيطانة الجميلة أسرَّ اليها قائلاً " انفذت

امرًا الى كابيودوفتش ان يُعدّ حرسًا يستقبل زائرنا هذه الليلة "

فقالت الشيطانة لدك سافيل : —

— اراك موجهاً تهمة قوية نحو اللورد ارلنفورد

— اني على يقين من كل ما عندي عليهِ — على يقين تام ولكني احتاج الى بينات تحمل غيري على الاقتناع نظيري ولي امل انكِ ايها البارونة تأخذين مع البرنس بيدي وتعضدين مسعاي فتغنمان من اهل الانسانية ثناء وشكرًا . ومن الله ثوابًا واجرًا

— لكني لم اسمع قط باللورد ارلنفورد فبماذا افيدك ؟

— نعم ولكني عن تاريخ جون فاين في بطرس برج اطلب افادتكما

فقالت الشيطانة منتفضةً : —

— جون فاين !

قالت الشيطانة هذا ولكن ليس بمزيد التعجب فقط بل بشهقةٍ شديدة روّحت نفسها بانفاس الرجاء وقشعت عنها سحب الغم والكآباء . فوقف سكولوف يرقبها وقد غشيتهُ سحابة قلقٍ كثيفة . ثم سألها سافيل : —

— هل تعرفينهُ ؟

— اعرفهُ ! آه تمامًا ! لانهُ كان سبب فاجعةٍ هائلة وقد كفر بها بحياتهِ عن خيانتهِ ففي كل وادٍ اثرٌ من ثعلبة

— لقد اصبتِ في جملتك الاخيرة واما قولك انهُ كفَّرعن خيانتهِ بحياتهِ فليس بصحيح لانّ جون فاين حيٌّ وهو الآن اللورد ارلنفورد ومن المحقق انهُ انتحل هذا اللقب انتحالاً او هذا الرجل الذي جرّ الوبال على القائد غودارد ؟ ففي بطرس برج اسلم رجلاً بريئًا للموت — رجلاً كان محبوبًا من الجميع ولم يرتكب قط اثمًا — وصرع امرأتهُ وولدها بالضربة نفسها . فحسنًا فعلتما بمجيئكما اليّ لاني استطيع ان افيدكما كل ما انتما في حاجة اليهِ

واذ ذاك دخل خادم واخبرها برجوع كاتم اسرارها فطلبت دخولهُ ولما جاء قدّم اليها رقعة فقرأتها وأشارت اليهِ بالانصراف ثم التفتت الى دك سافيل وقالت : —

— ارجوكما ان تمهلاني الى غد فاطلعكما على جميع التفاصيل المهمة اذ قد عرض لي شغل شاغل حال دون تفرغي لا جابة سؤلكما في الوقت الحاضر فمعذرة منكما

ثم اهابت بالخادم وقالت لهُ : —

— اذهب بالمستر سافيل وقرينتهِ الى مخدعيهما — الى اللقاء ايها الضيفان المكرمان

وبعد خروجهما التفتت الى البرنس وقالت : —

— هوذا قائد الفرقة الطيارة على الباب خارج الدار فاتبعني

ثم سارت الى غرفتها الخاصة وسار البرنس في اثرها وكانت هذه الغرفة فسيحة تشرف على دكة او سطح وقد أُنيرت بمصباحين كبيرين اتقدا اتقاداً ساطعاً وحولا ظلام الليل نوراً لامعاً وبعد ما اغلقت البارونة الباب قالت للبرنس : —

— هوذا القائد المعهود هنا وسأُدخلهُ من هذا الشباك فعليك ان تجعل رجال كابيودوفتش يحيطون بالبيت حتى اذا فرغت من الوقوف على كل مقاصدهِ ابديت لكم علامة بطلقةٍ من غدارتي هذه

ثم دنت منهُ وسألتهُ ممعنة نظرها فيهِ : —

— قل لي الآن ماذا تعطيني جزاء اسر هذا الرجل ؟

فاجابها سكولوف : —

— لاعطينَّكِ مهما اردتِ فقولي ماذا تبتغين ؟

— اروم منك حياة انسان — اعدامها او العفو عنها — حينما أُريد وكيفما اشاء !

— ايتها البارونة !

— خلِ عنك الآن الدهشة والتعجب وعدني — رحماك — عدني بحق كل مقدس عندك

— وتربة اجدادي الكرام لاعطينك ما طلبتهِ على التمام

— اذهب الآن وادعُ لي بنجاح المسعى

امبراطور اليابان

امبراطورة اليابان